

الموعظة الحسنة

أحمد كمال محمد غريب

إسم الكتاب : الموعظة الحسنة
إسم الكاتب : أحمد كمال محمد غريب
تصميم الغلاف : داليا قريش
تدقيق لغوي : عبدالمعز صفوت
رقم إيداع : ٧٩٥٨ / ٢٠٢١
ترقيم دولي: 978-977-6810-99-0



شارك سطورك مع العالم

الموعظة الحسنة

أحمد كمال محمد غريب

The Writer Operation

شارك سطورك مع العالم

المَوْعِظَةُ الحَسَنَةُ

دروسٌ وخطبٌ وَعَظِيَّةٌ مَهْمَةٌ

إعداد

الأستاذ / أحمد كمال محمد غريب

ليسانس آداب - قسم اللغة العربية

جامعة المنوفية

دبلوم الدراسات العليا في التربية

كلية التربية - جامعة المنوفية

دبلوم الدراسات الشرعية من المركز الثقافي الإسلامي

التابع لوزارة الأوقاف المصرية

(إهداء)

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى وعلى خاتمهم المجتبي
صلَّى الله عليه وسلم.

أما بعد؛ فهذا كتابٌ أهديه لإخوتي وأخواتي من المسلمين والمسلمات من
الأئمة والخطباء والواعظين والواعظات العاملين في حقل الدعوة إلى الله،
وإلى أحبتي وإخوتي من المسلمين والمسلمات في بقاع الأرض، سائلًا العليَّ
القدير أن يكون هذا العمل -على جُهدِي المتواضع فيه- نافعًا للجميع
خالصًا لوجه الله الكريم، وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه وسلَّم.

الفقير إلى عفو ربِّه:

أحمد كمال محمد غريب

(المقدِّمة)

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، الحمد لله على ما أنعم علينا من نعمٍ، الحمد لله على ما دفع عَنَّا من نِقَمٍ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الموصوفُ بالجلال والعزَّة والعِظَم، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه من خيرة خلقه وخليله، أشهد أنه بلَّغ رسالة ربِّه بما فيها من تشريعاتٍ عظيمةٍ وقِيَم، وأدَّى أمانة ربه بأفضل العزائم والهيم، فصلوات ربي وسلامه عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم..

أما بعد؛ فلقد رَعَبَ مولانا عزَّ وجلَّ في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحكمةٍ وموعظةٍ حسنةٍ طيبةٍ.

فلقد قال عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (النحل: ١٢٥).

يقول الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «يقول تعالى أمرًا رسوله

محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة، قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنه؛ أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكّرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى، وقوله «وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدالٍ فليكن بالوجه الحسن برفقٍ ولينٍ وحسن خطاب.. تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، (الجزء الرابع ٣٤٩).

والمؤمن الذي يجيب الله تعالى في دعوته ويدعو الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ويعمل صالحًا في إجابته، حبيب الله.

قال مولانا عز وجلّ: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (فصّلت: ٣٣).

ولم يقعد الذي جاء من أقصى المدينة عن الدعوة إلى الله تعالى وأتباع المرسلين على بُعد المكان، إنما قام يدعو بالحكمة والموعظة الطيبة الحسنه.

قال تعالى: «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ» (يس: ٢٠).

والدعوة إلى الله تعالى وتقديم النصيحة شرفٌ للمؤمن؛ فهي دعوة الرسل والأنبياء الكرام، صلوات الله عليهم أجمعين، قال تعالى فيما حكاه عن

نوح عليه السلام: «أَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (الأعراف: ٦١).

والدين النصيحة كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدِّينَ النِّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النِّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النِّصِيحَةُ». قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». رواه النسائي في سنته (٤١٩٩) حديث حسن صحيح.

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يحدث عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نصر الله أمراً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها...» رواه الترمذي في سننه (٢٦٥٨) حديث صحيح.

أيها الإخوة الكرام، بين أيديكم هذا الكتاب الذي يضم خطباً طيبة فيها الخير الكثير بإذن الله تعالى وتهتم المسلمين والمسلمات في دنياهم وأخراهم، والله جلّ وعلا أسأل أن تكون نافعةً للمسلمين والمسلمات بفضلله وكرمه، فهو وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه /

أحمد كمال محمد غريب

الأخوة الإيمانية وبعض جوانبها

الجمعة: ٢٤ من رمضان ١٤٣٤هـ - ٢ من أغسطس ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسَنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أمَّا بعد؛ فإنَّ الأخلاق التي حثَّ عليها الإسلام شرفٌ لكل مسلم أن يتحلَّى بها؛ لذلك فإنَّ المخالفة الصريحة للأداب الإسلامية والأخلاق الشرعية صارت ديدن بعضنا، لذا فهم يتتبعون عورات الآخرين ويسئون الظنَّ بالمسلمين، وهذا ليس من الأخوة التي حثَّنا عليها الإسلام في شيء.

لاشكَّ أنَّ هذا الأمر داءٌ يجب علاجه؛ وهذا العلاج يكون بإحياء خلق الأخوة بين الناس، وأقول لحضراتكم: هل يكون مع شهر رمضان وقفةٌ جادَّةٌ مع هذه الأخوة المفتقدة باعتبار أننا في رمضان نكون أقرب إلى المولى عزَّ وجل، وإلى كتابه الكريم وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم، نستشعر الأخوة بين الصائمين والقائمين؟

أيها الأخوة الكرام: إنَّ الأخوة بين المسلمين أصلٌ من أصول الشرع، ونعمة امتنَّ المولى عزَّ وجل بها على الأمة المسلمة، فلقد قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (آل عمران: ١٠٣).

يأمر المولى سبحانه وتعالى المؤمنين بأن يعتصموا بدين الله؛ فإنَّ في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم ما يصلح دينهم وديانهم،

ويحصل لهم من المصالح الكثير والكثير، كما أن بالافتراق والتعادي تنقطع روابط الأخوة بين المجتمع المسلم، ولقد ذكرهم الله عز وجل بأنهم كانوا أعداءً يقتل بعضهم بعضاً ويأخذ بعضهم مال بعض، فلما بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام، وتآلفت قلوبهم على الإيمان أصبحوا كالجسد الواحد، ألف الله عز وجل بين قلوبهم فأصبحوا إخوة متحابين متفقين لا مختلفين، وكما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تُنصِحوا مَنْ وَّلاهَ اللهُ أَمْرَكُمْ، ويكره لكم قيلَ وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» رواه مسلم (١٧١٥) وهو في صحيح الجامع برقم (١٨٩٥) باللفظ الذي أورده.

أين نحن من هذه المعاني الجليلة؟ أين نحن من الأخوة الإيمانية التي فيها صلاح العباد والبلاد؟

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الحجرات: ١٠).

قال الصابوني في صفوة التفاسير: «ليس المؤمنون إلا إخوة جمعتهم

رابطة الإيمان؛ فلا ينبغي أن تكون بينهم عداوة ولا شحناء، ولا تباغض ولا تقاتل» صفوة التفاسير (الجزء الثالث: صفحة ٢٣٤، ٢٣٥).

حتى بعد قتل النفس - أيها الإخوة - وهو من أكبر الكبائر، يقول المولى سبحانه وتعالى: «فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِتِّهِ بِإِحْسَانٍ» (البقرة: ١٧٨).

ولفظ أخيه دليل على أن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان.

«فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الديّة أو عفا بعض الأولياء، فإنه يسقط القصاص وتجب الديّة.

«فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِتِّهِ بِإِحْسَانٍ»: أي: فعلى العافي اتباع للقاتل بالمعروف بأن يطالبه بالدية بلا عنفٍ ولا إرهاب، وعلى القاتل أداء الدية إلى العافي - وليّ المقتول - بلا مطلٍ ولا بخسٍ.

الشاهد هنا أن القاتل والمقتول أخوان بنص القرآن الكريم في قوله تعالى «فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» فسمّاه أخاه.

يقول في تفسير الجلالين: «وفي ذكر أخيه تعطفُ داعٍ إلى العفو وإيذانٌ بأنّ القتل لا يقطع أخوة الإيمان» تفسير الجلالين (صفحة ٢٧).

** وأقول لحضراتكم: إنّ الأخوة المأمور بها في الدنيا، تصحب هؤلاء

المتأخين إلى جنة الله سبحانه وتعالى التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال الله تعالى: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ» (الحجر: ٤٧).

* أيها الإخوة الكرام: إن هذه الأخوة الإيمانية لها آثارٌ متعددة، وجوانبٌ مختلفةٌ، منها:

أولاً: المحبة في الله تعالى: فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرءَ لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار» متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان). حديث رقم (٢٦).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعةٌ يظلمهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه... - ذكر منهم - ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه...» متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان) حديث رقم (٦١٠). أي اجتمعا على حبِّ الله وافترقا على حبِّ الله، فسبب اجتماعهما حب الله، واستمرَّ على ذلك حتى تفرَّقا وهما صادقان في هذا الحب؛ فهو حبُّ نقيٍّ خالٍ من أي شوائب.

فالحب في الله تعالى معنىً سامٍ، فأوثقُ عُرَى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، والموالة في الله والمعاداة في الله.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوثق عُرَى الإيمان: الموالة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله». مستدرك الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٥٣٩).

فالحبُّ في الله أيها الإخوة سببه الإيمان والطاعة، فهل لنا من تحقيق معنى هذه الأخوة الإيمانية في واقعنا؟ ألا يحب بعضنا بعضًا؟ أما أن لنا أن نتوقف عن المشاحنات اليومية التي تُوجِّج نار الحقد والكراهية؟ أما أن لهؤلاء الذين يقطعون الطرق على المسلمين أن ينزجروا وأن يعلموا أن ذلك ليس من فعل أخٍ مُسلمٍ مع أخيه، وأن عقاب من يفعل ذلك أليم؟.

نسأل الله السلامة والأمن والأمان، والعفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

ثانيًا: النصيحة لكل مسلم: وهذا من أعظم آثار المحبة، فعن جرير بن عبد الله قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، فلقنني «فيما استطعت» والنصح لكل مسلم. متفق عليه

(اللؤلؤ والمرجان) رقم (٣٥).

قدّم النصح لأخيك المسلم تؤجر على ذلك، بل ينتشر الخير في البلاد. ولأهمية النصيحة بيّن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر فقال: «الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه ولسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه النسائي في سننه (٤٢٠٠) وهو حديث حسن صحيح.

وهذا الحديث النبوي الشريف يبرز أهمية النصيحة، فقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب القصر في قوله: (الدين النصيحة) بتعريف الطرفين؛ أي كأنه قصد -عليه الصلاة والسلام- الدين في النصيحة وهذا من باب التغليب والتنبيه، كقوله صلى الله عليه وسلم (الحج عرفة)؛ لبيان أهمية الوقوف بعرفة، برغم أهمية الأركان الأخرى في الحج. فيكون المعنى: من أهم أمور الدين النصيحة.

والنصح لأخيك ينبغي أن يكون بحكمة ورفق، وأن يكون سرًا بينك وبين أخيك، فإن المؤمن -أيها الإخوة- يستر وينصح، والمنافق يهتك ويفضح. قال تعالى في كتابه الكريم: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (النحل: ١٢٥).

فلم يقل الله سبحانه وتعالى الموعظة فقط، وإنما وصفها بالحسنة،
فمعنى ذلك أن الموعظة قد تكون حسنةً، وقد تكون غير حسنةٍ؛ فلننتبه
إلى هذا المعنى الجليل.

اللهم أرنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه،
أيها الإخوة الكرام: إنَّ للأخوةَ الإيمانيةَ آثاراً أخرى نتعرف عليها في الخطبة
الثانية إن شاء الله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأكرم الأمين وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛ فإنَّ للأخوةَ الإيمانيةَ -كما قلنا- آثارًا متعدِّدةً وجوانبَ مختلفةَ ذكرنا منها: المحبة لله تعالى، والنصيحة لكلِّ مُسلم؛ ومع استكمال هذه الآثار والجوانب المختلفة نقول:

ثالثًا: عدم تتبُّع العورات: فعدم تتبُّع عورات الناس ينشر المحبة والأخوةَ بين الناس، فلا ينبغي تتبُّع عورات الناس والأمر موكولٌ لخالفهم عزَّ وجلَّ.

فعن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر مَنْ آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبَّعوا عوراتهم؛ فإنه من اتَّبَع عوراتهم يتَّبَع الله عورته؛ ومن يتَّبَع الله عورته يفضحه في بيته» رواه أبو داود في سننه (٤٨٨٠) وحسَّنه الألباني رحمه الله.

أيها الأجابة الكرام: إنَّ كشف أستار المسلمين فيه مفاسدٌ عظيمة، منها أن العاصي بعد كشفه قد يداوم على المعصية ولن يتورع عنها أو يستحي منها، فيكون هذا دافعًا له على استدامة المعاصي؛ لذلك بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ تتبّع عورات الناس إفسادٌ لهم أو يكاد.

فعن معاوية رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ» فقال أبو الدرداء (رضي الله عنه): كلمةٌ سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالى بها. رواه أبو داود في سننه (٤٨٨٨) وصحّحه الألباني رحمه الله.

ولقد بَوَّبَ أبو داود لهذا الحديث وما تحته بابًا في النهي عن التجسّس؛ فالأخوة الإيمانية عدم تتبّع عورات الناس فلننتبه لهذا المعنى أيضًا.

رابعًا: التواضع ولين الجانب وترك الكبر: وهذا خلقٌ ينشر المحبة، ويقوّي أواصر الأخوة بين الناس؛ فالمتواضع محبوبٌ من الناس، فهو يقبل عليهم لا يفرّق بين غنيّهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، يُلين جانبه لهم، ويسط لهم وجهه؛ أمّا المتكبر فيبغضه الله ويبغضه الناس؛ لأنّ المتكبر من سماته: الترفّع بنفسه، واحتقار من هو دونه، ولا يقبل النصيحة من أحدٍ؛ لأنه يرى أنه أرفع منهم قدرًا وأفضل منهم.

فأيها الإخوة الكرام: إِنَّ العِزَّ إزار الله والكبرياء رداؤه، فلا ينازعنَّ إنسانٌ ربه في عزِّه وكبريائه؛ وإلا ستكون عاقبته وخيمة، فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العِزُّ إزاره والكبرياء رداؤه؛ فمن ينازعني عِدَّتْه» رواه مسلم في صحيحه (٢٦٢٠).

وهذا الحديث تحت باب تحريم الكبر.

فعلينا جميعاً أن نتواضع للمسلمين وأن نخفض الجناح لهم، وأن نبسط الوجه لهم؛ لأنَّ هذا من شأنه أن ينشر المودة والمحبة بين المجتمع المسلم فتقوي أواصر الأخوة بين أبنائه.

عند هذا الحدِّ أتوقَّف؛ على أن نُكْمَل بإذن الله تعالى الآثار والجوانب المتعددة للأخوة الإيمانية في لقاءٍ آخر.

كما أختم حديثي -كما تعودنا- مع بعض الأخطاء التي تقع من بعض الصائمين بعد انتهاء الصوم، وهذا استكمالٌ لما بدأناه من أخطاء ما بعد الصيام، منها:

غفلة بعض الصائمين عن الدعاء لمن قام بدعوته على الإفطار؛ جهلاً كان أو نسياناً؛ وهذا خطأ؛ فمما ينبغي أن يحرص عليه الصائم أن يدعو لمن قام بإفطاره أو دعاه للإفطار عنده، لما ثبت في سنن أبي داود أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عبادة، فجاء بخبزٍ وزيت فأكل،

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وصلّت عليكم الملائكة» رواه أبو داود في سننه (٣٨٥٤) وصحّحه الألباني رحمه الله وهو في سنن ابن ماجه (١٧٤٧).

ومن هذه الأخطاء أيضًا، تأخير الإفطار: فقد يؤخّر بعض الصائمين إفطارهم، وهذا خطأ؛ لأنّ السُنَّة تعجيل الإفطار؛ لما ثبت من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال الناس بخيرٍ ما عجلوا الفِطر» متفق عليه.

فبيّن لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أنّ تعجيل الفطر علامةٌ على خيرية الأمة، فيحسن بنا أن نحصر على هذه السُنَّة، من هذه الأخطاء أيضًا: تطيب بعض النساء عند الخروج لصلاة التراويح؛ فعن زينب امرأة عبد الله (أي ابن مسعود)، قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا» رواه مسلم في صحيحه (٤٤٣).

وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم: «أيّما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة». رواه مسلم في صحيحه (٤٤٤) وهو من حديث أبي هريرة.

ويلحق بالطيب والبخور ما في معناهما؛ لأنّ سبب المنع منهما ما فيهما

من تحريكٍ للشهوة كالملبس والزينة وكذا الاختلاط بالرجال.
ولقد بَوَّبَ الإمام مسلم فقال: باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم
تترتب عليه فتنَةٌ وأنها لا تخرج مُطَيَّبَةً.

* أيها الإخوة الكرام:

أَسْأَلُ اللهَ العَليَّ العَظِيمَ أن يوفِّقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يعلمنا من
القرآن والسنة ما جهلناه ويرزقنا العمل بما نعلم إنه وليُّ ذلك ومولاه.
اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن
تولَّيت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، اللهم
اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجملاً همَّنا وعمَّنا، اللهم علِّمنا منه
ما جهلنا، وذكِّرنا منه ما نسينا.

اللهم متَّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منَّا،
واجعل ثارنا على من ظلمنا، وانصُرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا
في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همَّنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلِّط علينا من
لا يرحمنا.

ربنا آتانا في الدنيا حسنَةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار.

آمين آمين وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

-تابع / الأخوة الإيمانية وبعض جوانبها

الجمعة: ٢ من شوال ١٤٣٤هـ - ٩ من أغسطس ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فلقد تحدّثنا في اللقاء السابق عن الأخوة الإيمانية وبعض جوانبها، من المحبة في الله تعالى إلى النصيحة لكل مسلم، إلى عدم تبّع العورات إلى التواضع ولين الجانب وترك الكبر وهي أربعة جوانب، واليوم بإذن الله تعالى نُكمل هذه الجوانب، والجانب الخامس من جوانب الأخوة الإيمانية، المودة وإفشاء السلام: لقد أمرنا شرعنا الحنيف بالمودة وإفشاء السلام، ولقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ المودة سببٌ لدخول الجنة فقال: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، ألا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» رواه البخاري في الأدب المفرد (٩٨٠)، ورواه مسلم (٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣)، وابن ماجه (٣٦٩٢) وهو من حديث أبي هريرة.

فالمودة وإفشاء السلام من الأسباب الجالبة للمحبة بين العباد، ومن ذلك طلاقة الوجه والابتسامة في وجه إخواننا، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تبسّمك في وجه أخيك صدقة...». رواه الترمذي في سننه (١٩٥٦) وهو حديث صحيح صححه الألباني.

انظروا أيها الإخوة إلى عظمة الإسلام؛ التبسّم في وجه إخواننا صدقة.. قابل الناس بالابتسامة؛ فالابتسامة في وجه الناس تبعث الازتياح والمحبة بين قلوب المسلمين.

ما أحلى آثار الأخوة الإيمانية وجوانبها، ولدخل في الجانب السادس وهو: الإيثار: وهو تفضيل الآخرين على النفس، وهو حق صحابة النبي صلى الله عليه وسلم؛ ودليل ذلك ما قاله المولى عز وجل في كتابه الكريم في سورة الحشر.

قال تعالى: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الحشر ٩).

وهذه الآية الكريمة قالها الله في الأنصار.

وسبب نزول هذه الآية كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يضم -أو يضيف- هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا.

فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني.

فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً.

فهيأت طعامها وأصبحت سراجها وتومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلها يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **صَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ - أَوْ عَجِبَ -** من فَعَالِكَمَا. فأنزل الله **«وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقْ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»**. رواه البخاري في صحيحه (٣٧٩٨) كتاب مناقب الأنصار ومسلم في الأشربة (٢٠٥٤) وهو في أسباب النزول للسيوطي صفحة (٤٠٩).

فهذا ضربوا أروع الأمثلة في تاريخ البشرية في الإيثار، فآثروا إخوانهم على أنفسهم مع حاجتهم لما قدّموه لإخوانهم.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: **«وقد أجمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام ونحوه من أمور الدنيا وحظوظ النفوس، وأما القربات فالأفضل ألا يُؤثر بها؛ لأنَّ الحقَّ فيها لله تعالى والله أعلم»**. صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء السابع صفحة ٢١٢).

أيها الإخوة الكرام: هذه هي الأخوة الإيمانية التي حثَّ عليها الإسلام، بل نذهب إلى أبعد من ذلك في حديثنا عن الإيثار كجانبٍ من جوانب الأخوة الإيمانية.

فعندما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ضرب

الفريقان أروع الأمثلة في هذا المجال.

قال عبد الرحمن بن عوف: «أخى النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع لمّا قدمنا المدينة» فتح الباري بشرح صحيح البخاري (الجزء السابع صفحة ٣٠٤).

وأسوق لحضراتكم هذا الموقف لنرى كيف كان المسلمون في زمن النبوة، فعن أنس رضي الله عنه قال: «قَدِمَ عبد الرحمن بن عوف المدينة فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن ينافسه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلّني على الشوق.

فَرَبِحَ شيئًا من أقط وسمن، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أيام وعليه وَصْرٌ من صُفْرَةٍ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مَهَيْمُ يا عبد الرحمن؟ قال: يا رسول الله، تزوّجت امرأةً من الأنصار

قال: فما سُقَّتَ فيها؟

فقال: وزنَ نواةٍ من ذهب.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أولم ولو بشاةٍ». رواه البخاري في صحيحه (٣٩٣٧).

* أيها الإخوة الكرام: هذا المثال يوضح لنا كيف كانت الأخوة الإيمانية بين صحابة النبي صلى الله عليه وسلم -والتي نفتقدها اليوم- هي أخوة صادقة بين المؤمنين، ربّاهم النبي صلى الله عليه وسلم عليها؛ فالنقاء والصفاء القلبي عنوانها، أما اليوم فصوت المصالح هو الذي يعلو إلا من رحم الله تعالى نريد أن تنتشر هذه الأخوة الصادقة في ديانا اليوم. نريد أن نعود إلى سابق العهد بالأتقياء الصادقين البعيدين عن أهواء النفس وشهواتها التي تجعل المسلمين يتناحرون ويتشاجرون.

الجانب السابع من جوانب الأخوة الإيمانية سلامة الصدر من الأحقاد إن أردت أن تسلم لك صدور المسلمين فاحرص على أن يكون صدرك سليماً لهم؛ فسلامة الصدر نعمةٌ جليّةٌ تجلب للعبد محبةً الناس من حوله.

* وإن أدنى ثمرات المحبة التي يغرسها الإيمان في قلب المؤمن هي سلامته من الغلّ والحسد، حتى تتحقق الأخوة الإيمانية الحقيقية؛ فإن أنوار الإيمان كفيّلة أن تبدد ظلام الغلّ والحقد والحسد من قلب المؤمن، وبذلك يصبح ويمسي سليم الصدر للمسلمين، نقىّ الفؤاد، يدعو بدعاء الصالحين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ

أَمُّو رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ « (سورة الحشر: ١٠).

فالأخوة الإيمانية تقتضي أن يحبَّ المسلم الخير للناس جميعًا، وهو لا يعارض ربَّه عزَّ وجلَّ في رعاية الخلق أو تقسيم الرزق، قال الله تعالى في كتابه الكريم: «إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» (الإسراء: ٣٠).

إنه مؤمن بعدل الله عزَّ وجلَّ فيما قَسَمَ من حظوظ، ويعتقد اعتقادًا جازمًا أنَّ قضاءه -سبحانه وتعالى- في خلقه صادر عن حكمةٍ بالغة وقد قيل: الحاسد جاحد؛ لأنه لم يرصَّ بقضاء الواحد.

قال الله تعالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» (النساء: ٥٤).

جاء عند الإمام القرطبي في تفسيره: «قال عبد الله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله. قيل له: ومن يعادي نعم الله؟! قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله...». الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (الجزء الخامس ١٨٩).

فإنَّ انتفاء الغلِّ والحسد من قلب المؤمن يجعله يشعر بالأخوة الإيمانية، ولقد كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين يضربون أروع الأمثلة في سلامة الصدر.

أيها الإخوة الكرام، إنَّ الخصومة إذا نمت ووساوس الضغينة ثارت وتفرّعت أشواكها؛ شلّت زهرات الإيمان، وعندئذ لا يكون في أداء العبادات المفروضة خيرٌ، ولا تستفيد النفس منها شيئاً، وكثيراً ما تجعل الخصومة أصحابها يرتكبون الصغائر المُسَقِطة للمروءة والكبائر المُوجِبة للعنة والعياذ بالله، وعدم سلامة الصدر تجعل المرء يعمى عن الفضائل وتضخّم الرذائل، وقد يذهب بها الغلُّ والحسد إلى افتراض الأكاذيب وهذا كله يرفضه الإسلام؛ لأنَّ البغضاء هي التي تحلق الدين.

فعن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة؛ أما إني لا أقول تحلق الشَّعر، ولكن تحلق الدين». رواه البزار بإسناد جيد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب. وهو في الترغيب والترهيب للمنذري برقم (٤٢٥٨).

فلننتبه جميعاً إلى أنَّ الشيطان ربما عجز أن يجعل من الرجل العاقل عابد وثنٍ، ولكنه لن يعجز عن المباعدة بينه وبين ربِّه، وهو يحتال لذلك بإيقاد نيران العداوة في القلوب، فإذا اشتعلت استمتع الشيطان بذلك؛ لأنها تحرق العلاقات الطيبة بين الناس، وما نراه في واقعنا خير مثالٍ على ذلك، ألا فلننتبه، ونسأل الله عزَّ وجلَّ قلوباً نقيَّةً تقيَّةً سليمة من الغلِّ والحسد والبغضاء.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأكرم الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإنَّ الجانب الثامن من جوانب الأخوة الإيمانية، حُسن الظن:

أيها الإخوة الكرام، إنَّ الواجب على المسلم أن يُحسن الظن بأخيه المسلم، ولقد أمرنا المولى سبحانه وتعالى باجتنب كثيرٍ من الظن.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ» (الحجرات: ١٢).

فينادي المولى جلَّ في علاه المؤمنين لأنهم هم الذين يسمعون ويطيعون، ودائمًا أيها الإخوة عندما تسمع (يا أيها الذين آمنوا) في القرآن فاستمع جيدًا لما سيلقى بعد؛ لأنَّه إما خيرًا ساقه الله إليك أو شرًا يحذرك الله منه.

يقول العلامة السعدي عند تفسير هذه الآية: «نهى تعالى عن كثير من الظنِّ السوء بالمؤمنين فـ (إنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ)، وذلك كالظنِّ الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظنِّ السوء الذي يقترب به كثير من الأقوال والأفعال المحرَّمة، فإنَّ بقاء الظنِّ السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي؛ وفي ذلك أيضًا إساءة الظنِّ بالمسلم، وبُغضه وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه». من تفسير تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي (صفحة ٩٢٤).

بل إنَّ نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم حذَّرنَا من الظنِّ السيِّء، فعن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظن؛ فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا». رواه البخاري في صحيحه (٦٠٦٤) ومسلم (٢٥٦٣).

وكان سلفنا الصالح يقولون: لا تظنَّ بكلمةٍ صدرت من أخيك شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملاً، فلو كان لها محملاً واحدٌ خير، وعشرة محامل شرٍّ، فاحملها على محمل الخير، تحسباً للظنِّ بإخوانك، وأنت تعلم أنه من أهل الخير والصلاح.

اللهم اجعلنا جميعًا ممن يحسنون الظنَّ بالمسلمين، اللهم ألف بين قلوبنا على طاعتك يارب العالمين.

الجانب التاسع من جوانب الأخوة الإيمانية: عدم ترويع المسلم وإفزاعه:

أيها الإخوة الكرام، إن من ألوان المزاح المحرّم، الإشارة بالسلاح في وجه مسلم، أيًا كان السلاح؛ سكينًا أم سيفًا، أم رمحًا، أم بندقية، أم غير ذلك من الآلات الحادة التي تُتخذ للقتال أو القطع.

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسرون مع النبي صلى الله عليه وسلم فنام رجلٌ منهم فانطلق بعضهم إلى جبلٍ معه فأخذه ففزع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحلُّ لمُسلمٍ أن يروّع مسلمًا». رواه أبو داود في سننه (٥٠٠٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٥٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإنَّ الملائكة تلعنه حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه». رواه مسلم في صحيحه (٢٦٦٦).

يقول الإمام النووي: «وقوله صلى الله عليه وسلم (وإن كان أخاه لأبيه وأمه) مبالغةً في إيضاح عموم النهي في كلِّ أحدٍ، سواءً من يُتهم فيه، ومن لا يتهم، وسواءً كان هذا هزلًا ولعبًا أم لا؛ لأنَّ ترويع المسلم حرام

بكل حال». صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء الثامن صفحة ٣٤٢).

الجانب العاشر من جوانب الأخوة الإيمانية، التعاون على البر والتقوى:

وهذا التعاون لاشكَّ أنَّه يقوِّي الأخوة بين المسلمين. قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (المائدة: ٢).

يقول الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «يأمر تعالى عباده بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البرُّ، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم». تفسير القرآن العظيم (الجزء الثالث صفحة ٨).

فالتعاون أيها الإخوة يكون في أمور الدين والدنيا، أحتاج إليك فأتيك لتساعدني وأنت كذلك تأتيني فأعينك وأساعدك، وهذا التعاون لن يقوم ونحن إخوة متشاكسون، وهنا نقول: إِنَّ الأخوة الإيمانية تدفعنا إلى كل خيرٍ، وأقول أيضًا: إننا إذا حققنا هذه الجوانب نصل إلى ما نريد من تحقيق أخوة حقيقية تشر الخير في ربوع المجتمع.

أيها الإخوة الكرام، ينبغي أن نستلهم هذه المعاني من شهر رمضان المبارك الذي ودعناه، ويكون نبراسًا لنا مع قدوم عيد الفطر المبارك، والذي نسأل الله تعالى أن يعيده علينا بالخير واليمن والبركات والسلامة

وبهذه المناسبة الطيبة أذكر نفسي وإياكم بصيام ستِّ من شوال، ولقد بَوَّبَ الإمام مسلم في صحيحه: باب استحباب صوم ستة أيامٍ من شوال إِتِّبَاعًا لرمضان.

وأورد حديث أبي أيوب الأنصاري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ». رواه مسلم في صحيحه (١١٦٤).

وإنما كان ذلك كصيام الدهر؛ لِأَنَّ الحسنة بعشرة أمثالها، فرمضان بعشرة أشهر، والستة بشهرين، ولا حرج في صيامها متتابعة أو متفرقة والأفضل أن تكون متتابعة.

أيها الإخوة الكرام، أسأل الله العليَّ القدير أن يديم علينا مواسم الخير وأن يوفِّقنا لما يحبه ويرضاه، فهو وليُّ ذلك والقادر عليه.

اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولَّننا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجملاً همومنا وأحزاننا، اللهم علِّمنا منه ما جهلنا، وذكِّرنا منه ما نسينا.

اللهم مُتَّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث مَنَّا،

واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همًّا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار.

آمين آمين وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

* خُلِقَ الاستقامة *

الجمعة: ٩ من شوال ١٤٣٤هـ - ١٦ من أغسطس ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فإنا قد تحدّثنا عن بعض أخلاق الإسلام قبل شهر رمضان المبارك

في سلسلةٍ متواصلة، ثم توقّفنا لتحدث عن هذا الشهر الفضيل؛ روحانياته وفضائله وفضل الاعتكاف في العشر الأواخر وليلة القدر وفضل قيامها؛ واليوم بإذن الله تعالى نواصل الحديث عن أخلاق الإسلام، نتحدّث اليوم بإذن الله تعالى عن خُلق الاستقامة.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل أحداً غيرك، قال: قل: آمنت بالله ثم استقم». رواه مسلم (٣٨) والترمذي (٢٤١٠) وابن ماجه (٣٩٧٢).

* أيها الإخوة الكرام: بدايةً نقول ونحن بصدد هذا الحديث النبوي الشريف: إن الاستقامة في اللغة كما جاء في لسان العرب لابن منظور: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر، وقوله تعالى: «فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ» أي في التوجّه إليه دون الآلهة، وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى، وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» معنى قوله استقاموا عملوا بطاعته ولزموا سنّة نبيه صلّى الله عليه وسلم، وقال الأسود بن مالك: ثم استقاموا لم يشركوا به شيئاً، وقال قتادة: استقاموا على طاعة الله؛ قال كعب بن زهير:

فَهُمْ صَرَفُوكُمْ حِينَ جُرِّتُمْ عَنِ الْهُدَى * بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى اسْتَقَمْتُمْ عَلَى الْقِيَمِ

قال: القِيَم الاستقامة، وفي الحديث: قل آمنْتُ بالله ثم استقم؛ فُسِّر على وجهين: قيل هو الاستقامة على الطاعة، وقيل هو تَرْكُ الشِّرْكِ». لسان العرب لابن منظور (الجزء السابع صفحة ٥٤٥).

وقال العلامة الراغب في مفرداته: «والاستقامة يقال في الطريق الذي يكون على خطٍّ مستوٍ وبه شبه طريق المحق نحو «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» (الفاتحة: ٦)، «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا» (الأنعام: ١٥٣). «إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (هود: ٥٦).

واستقامة الإنسان: لزومه المنهج المستقيم نحو قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا». مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني صفحة (٥٣٠).

والاستقامة اصطلاحًا: «سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويق عن يمنةٍ ويسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك». جامع العلوم والحكم لابن رجب صفحة (٣٣٦).

* أيها الإخوة الكرام: إِنَّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يحرسون

دائمًا على الخير، ويحرصون على معرفة ما يوصلهم إلى ما يرضي ربهم عزَّ وجل، فسأل الصحابي الجليل سفيان بن عبد الله نبينا الأكرم الأمين -صلوات ربي وسلامه عليه- عن أقصر طريقٍ يوصله إلى الله عزَّ وجل دون أن يسأل أحدًا غيره، فقال له: «قل: آمنتُ بالله ثم استقم».

ولذلك يقول الله عزَّ وجل في كتابه الكريم: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ» (فُصِّلَتْ: ٣٠).

«قال عمر بن الخطاب: لم يروغوا روغان الثعلب». جامع العلوم والحكم (صفحة ٣٣٤).

* وأصل الاستقامة كما يقول ابن رجب عند شرحه لهذا الحديث: «استقامة القلب على التوحيد، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أي، لم يشركوا بالله شيئاً، ولم يلتفتوا إلى إلهٍ غيره، فاستقاموا على أن الله ربهم». جامع العلوم والحكم (صفحة ٣٣٤).

«وروي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ» (إبراهيم: ٣٨).

قال: استقاموا على أداء فرائضه، وعن أبي العالية قال: ثم أخلصوا له

الدين والعمل، وعن قتادة قال: استقاموا على طاعة الله.

وكان الحسن البصري رحمه الله عندما يقرأ قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» (فصلت: ٣٠).

يقول: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة». جامع العلوم والحكم (صفحة ٣٣٤، ٣٣٥).

ونحن أيها الإخوة من هذا المكان نقول: اللهم ارزقنا الاستقامة، آمين يارب العالمين؛ فهم الذين أفردوا الله بالعبودية، فلم يستعينوا بأحدٍ سواه، ولم يستغيثوا إلا به عزَّ وجل، ولم يتوكلوا حقَّ التوكل إلا عليه سبحانه وتعالى، فلا انقياد إلا له، ولا محبة إلا له، ولا رجاء إلا فيه، ولا تسليم إلا له سبحانه، ولا خوف إلا منه وحده، قال الله تعالى في كتابه الكريم: «قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُيِّ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

هم الذين قاموا بتطبيق الإيمان قولاً وعملاً.

وكما قال الحسن البصري رحمه الله: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب، وصدَّفته الأعمال، فمن قال خيراً، وعمل خيراً فُبل منه، ومن قال خيراً، وعمل شراً لم يُقبل منه».

ولقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث العباس رضي الله عنه أنَّ

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا،
وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا». رواه مسلم في كتاب الإيمان.

فمن استقام قلبه على معرفة الله ومحبهه والإعراض عما سواه فهو على
الطريق الصحيح؛ لأنَّ القلوب إذا استقامت استقامت الجوارح كلها على
طاعة الله عزَّ وجل، ولنعلم جميعًا أنَّ هذه الوصية النبوية الشريفة قد
اشتملت على معظم خصال الخير، وشُعب الإيمان التي أوصى بها ربُّنا
عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم الذي قال فيه: «فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ
مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (هود: ١١٢).

* أيها الإخوة الكرام: إنَّ الله عزَّ وجل يوصي نبيه الكريم صلى الله عليه
وسلم بالاستقامة على منهج دينه القويم، وصراطه المستقيم، والقيام
بواجب الدعوة إليه وتبليغ أحكامه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما أمره ربه تبارك وتعالى، استقام على الطريق الذي رسمه ربُّه، وصدع
بالحق.

*ولذلك يجب علينا أيها الإخوة أن نستقيم على طاعة ربِّنا وعلى سنَّة
نبينا صلى الله عليه وسلم ففيهما الخير.. كل الخير.

فالآية الكريمة «فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ» آيةٌ مؤثِّرةٌ، وهي من سورة هود
التي قال فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَيَّبَتْنِي هُودُ وَالْوَاقِعَةُ

والمرسلات وَعَمَّ يتساءلون وإذا الشمس كُوِّرَتْ». حديث صحيح رواه الترمذي في سنته (٣٢٩٧) وصحَّحه الألباني رحمه الله، وهو من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

* والاستقامة تكون بحسب المعرفة، فمن كَمَلَتْ معرفته بالله، عَظُمَ عند أمره ونهيه، فإذا سمع قول الله تعالى «فَاسْتَقِمُّ كَمَا أَمَرْتُ» علم أَنَّهُ مُطَالِبٌ باستقامةٍ تليق بمعرفته برَّبِّه عَزَّ وَجَلَّ.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنَّا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فَخَطَّ خَطًّا وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنِ يَمِينِهِ وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنِ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ فَقَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ». رواه ابن ماجة في سنته (١١) وصحَّحه الألباني رحمه الله.

ولذلك كان السلف الصالح من هذه الأمة سائرین على طريق الاستقامة، فكلُّ حركةٍ منهم كانت لله عَزَّ وَجَلَّ، وكان حُبهم في الله وبُغضهم في الله، ومنهجهم هذا مستمدٌّ من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أعطى لله ومنع لله وأحبَّ لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل الإيمان». رواه الترمذي في سنته (٢٥٢١) وحسَّنه الألباني رحمه الله.

ومعنى هذا أن كل حركات الجوارح إذا كانت كلها لله فقد كَمُلَ إيمان العبد

بذلك ظاهرًا وباطنًا، فيلزم من صلاح القلب صلاح حركات الجوارح؛ فلا بد ألا ننظر بأبصارنا، ولا ننطق بألسنتنا ولا ننهض على أقدامنا حتى ننظر أعلى طاعة أم على معصية؟ فإن كانت طاعةً فلنتقدم وإن كانت معصية فلنتأخر، هذه هي الاستقامة على طريق الله عز وجل.

* فالاستقامة أيها الإخوة تقتضي مقاومة شهوات النفس.. تقتضي مقاومة الهوى، والهوى: ميل النفس إلى الشهوة، ومقاومة الهوى هي الاستقامة، وقد بين ربنا عز وجل جزاء من نهى النفس عن الهوى في كتابه الكريم فقال: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ». (النازعات: ٤٠، ٤١).

أيها الإخوة الكرام: إن أصل غلبة الهوى مقاومة الشهوات، فإذا غلب الهوى أصبح القلب مُظلمًا والعياذ بالله، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق فيصبح مكروهًا من الناس، فهذا الأمر نتيجةً لتباعد الهوى والانحراف عن طريق الاستقامة.

وأختم حُطْبتي الأولى بهذه القصة التي تبين كيف كان سلفنا الصالح على طريق الاستقامة.

كان الفاروق عمر رضي الله عنه يتفقد أحوال الرعية ذات ليلة، فسمع امرأة تقول لابنة لها: قومي إلى ذاك اللبن فامزجيه بالماء.

فأجابت الفتاة: يا أمتاه! وما علمتِ بما كان من عزم أمير المؤمنين؟.

قالت المرأة: وما كان من عزمه يا بنية؟.

قالت: إنَّه أمر مناديه فنادى: لا يُشاب اللبن بالماء.

فردَّت المرأة قائلةً: يا بنية قومي إلى اللبن فامزجيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عُمر، ولا منادي عمر.

فردَّت الفتاة على الفور: يا أمتاه، إن كان عمر لا يعلم، فإنه عمر يعلم، والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلاء.

فلما أصبح عمر، قال لابنه عاصم: اذهب إلى مكان كذا وكذا، فإن هناك صبيَّةً، فإن لم تكن مشغولةً فتزوج بها، لعلَّ الله أن يرزقك منها نسمةً مباركة.

وصدقت فِراسة الفاروق رضي الله عنه، فقد تزوج عاصم بتلك البنية، فولدت له أم عاصم، فتزوجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له عمر بن عبد العزيز الأمير العادل رحمه الله تعالى ورضي عنه.

أيها الإخوة الكرام: هذه ثمرةٌ من ثمرات الاستقامة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأكرم الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإنَّ اتِّباع الهوى -أيُّها الإخوة- يصدُّ عن الحق، وأذكَّر نفسي وإياكم بأنَّ طول الأمل ينسي الآخرة.

أيُّها الإخوة الكرام: أيعصي الإنسان ربَّه ولا يغالب نفسه، ولا يتَّبِع طريق الاستقامة ثم يرجو جنَّته؟

لا يمكن أن نزرع في قلوبنا الهوى ونجني منه خيراً؛ فمن زرع شوًكاً جنى شوًكاً، وفي الأمثال قالوا: (إنَّك لا تجني من الشوكِ العنب).

فإذا زرعنا في قلوبنا الاستقامة وفي جوارحنا مغالبة الهوى والمعصية؛ حصدنا ثمار الاستقامة.

قال الله رب العالمين في كتابه الكريم: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (الأحقاف ١٣، ١٤).

قال تعالى أيضًا في كتابه الكريم: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ». (٣٠-٣٢ من سورة فُصِّلَتْ).

* أيها الإخوة الكرام:

إن بطاقة التوحيد (لا إله إلا الله) تثقل في ميزان الموحِّد برُّه سبحانه وتعالى؛ لأنَّ توحيد الله عزَّ وجل يزيل غيوم السيئات فهو نورٌ للموحِّد. ولقد أخبرنا بهذا الأمر الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيُّ يوحى؛ الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رِءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنَكَّرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟».

فيقول: لا يارب.

فيقول: أفلكَ عُذْر؟.

فيقول: لا يارب.

فيقول: بلى إِنَّ لكَ عندنا حسنةً، وإِنَّه لا ظلم عليك اليوم.

فتخرج بطاقةً فيها (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله)،
فيقول: أحضر وزنك.

فيقول: يارب هذه البطاقة مع هذه السجلات!

فيقال: إنك لا تظلم.

قال: فتوضع السجلات في كِفَّةٍ، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات،
وتقلت البطاقة فلا يُثقلُ مع اسم الله شيءٌ». رواه ابن ماجة (٤٣٠٠)
والترمذي (٢٦٣٩)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٣٥) وهو من
حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

* أيها الإخوة الكرام، اعلّموا أنّ علامة المستقيم الصبرُ على الشدائد،
والثبات عند البلاء، والإعراض عن الجاهلين، والصفح عن المسيئين، وألا
يكون للهوى سلطاناً على نفسه، وأن زخارف الدنيا لا تشغله عن طريق
مولاه؛ لذلك قال بعض العارفين: الاستقامة، توبةٌ بلا إصرار، وعمل بلا
فتور، وإخلاصٌ بلا التفات، ويقينٌ بلا تردد، فالاستقامة هي الخصلة التي
تكمل بها المحاسن وتكون في جميع أعمال العبد وحركاته.

* أيها الإخوة الأحبة الفضلاء:

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْقَدِيرَ أَنْ يَجْعَلَنا مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنَا عَنْ ذِكْرِكَ غَافِلِينَ، وَلَا عَنْ أَمْرِكَ زَائِعِينَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ قُلْتَ فِيهِمْ: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (الحديد: ١٢).

والله تعالى أسأل أن يكون ما قلته زادًا إلى حُسن المصير إليه وعتادًا إلى يُمن القدوم عليه، فهو بكل جميلٍ كفيـلٍ وهو حَسْبُنَا ونعم الوكيل.

اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنَّا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقِنَّا واصرف عَنَّا شَرَّ ما قضيت.. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مجيبُ الدعوات، اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وجلاء همومنا وأحزاننا.

اللهم ارزقنا حقَّ تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عَنَّا.. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنينا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خيرٍ واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلّغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منّا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، ولا تسلّط علينا من لا يرحمنا، ربنا آتنا في الدنيا حسنّةً، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* كيف نستقيم على طاعة الله عز وجل؟ *

الجمعة: ١٦ من شوال ١٤٣٤هـ - ٢٣ من أغسطس ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فلقد تحدّثنا في اللقاء السابق عن الاستقامة في اللغة وفي الاصطلاح، وبيّنا كيف كان صحابة النبي صلى الله عليه وسلم حريصين على الاستقامة، وأن الاستقامة تقتضي مقاومة شهوات النفس.

واليوم بإذن الله تعالى نكمل الحديث عن الاستقامة من خلال بعض الأحاديث الواردة في فضل الاستقامة، وكيف نستقيم على طاعة الله عزّ وجلّ؟

أيها الإخوة الكرام: لقد جاء عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أحاديثٌ في فضل الاستقامة منها:

ما رواه ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استقيموا ولن تُحصوا واعلموا أنّ خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن». رواه ابن ماجة (٢٧٧) وصحّحه الألباني رحمه الله.

ومنها ما رواه النّوّاس بن سمعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً، على كَنَفَي الصراط داران لهما أبواب مفتحة، على الأبواب سُتُور وداعٍ يدعو على رأس الصراط وداعٍ يدعو فوقه «وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» والأبواب التي على كَنَفَي الصراط حدود الله فلا يقع أحدٌ في حدود الله حتى يُكشَفَ الستر، والذي يدعو من فوقه واعظُ ربّه». رواه الترمذي في

سُننه (٢٨٥٩) وصححه الألباني رحمه الله.

ومنها أيضًا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عائشة أَنَّ أَبَا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأيِّ شيء كان نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟. قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». رواه مسلم (٧٧٠).

يقول الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث: «قوله صلى الله عليه وسلم: (اهديني لما اختلف فيه من الحق) معناه تبتني عليه كقوله تعالى: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ». صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء الثالث صفحة ٢٥١).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: إِنَّ مَنْ هُدِيَ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ هُدِيَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى جَنَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وأقول لحضراتكم: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشُرُوا فَإِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله منه برحمته،

واعلموا أنَّ أحبَّ العملِ إلى الله أدومه وإن قَلَّ». رواه مسلم في صحيحه (٢٨١٨).

يقول الإمام النووي في شرحه للحديث، وأرجو أن نستمتع جيداً لكلامه: «معنى (سدّدوا وقاربوا): اطلبوا السداد واعملوا به، وإن عجزتم عنه فقاربوه، أي: اقربوا منه، والسداد: الصواب، وهو بين الإفراط والتفريط، فلا تغلّوا ولا تقصّروا». صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء التاسع صفحة ١٣٨).

وأقول: هل الحديث السابق الذي يبيّن أنَّ المؤمن لا يدخل الجنة بعمله يتعارض مع قوله تعالى: «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»؟ (النحل: ٣٢).

وقوله تعالى: «وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»؟ (الزخرف: ٧٢)..

هاتان الآيتان لا تعارضان الحديث؛ بل معنى الآيات كما قال الإمام النووي: أنَّ دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها، وقبولها برحمة الله تعالى وفضله. (بتصرّفٍ من صحيح مسلم بشرح النووي) (الجزء التاسع: ١٣٨).

والسؤال هنا، بعد هذا العرض لأحاديث النبي الكريم صلى الله عليه

وسلم والتي نضعها على العين والرأس.

* كيف نستقيم على طاعة الله عزَّ وجلَّ؟

في البداية لابد أن نعلم أنَّ الإيمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل أسباباً لاستقامة العبد.

من أسباب استقامة العبد:

أولاً: الاعتصام بالمولى سبحانه وتعالى:

إنَّ من أعظم أسباب استقامة العبد أن يعتصم بربه عزَّ وجلَّ لكي يوفِّقه إلى الاستقامة، قال الله رب العالمين في كتابه الكريم: «وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (آل عمران: ١٠١).

يقول الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «فالاغتصام بالله والتوكل عليه هو العُمدة في الهداية، والعدَّة في مباحدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد». من تفسير القرآن العظيم (الجزء الثاني صفحة ٥١).

وأقول لحضراتكم: كلما ازداد القلب تعلُّقاً بالله وتوكُّلاً على الله، ازداد القلب تسديداً وتوفيقاً واستقامةً على طاعته؛ لأنَّ قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقبُّها كيف يشاء، فاللهم ثبَّتْ قلوبنا على دينك، اللهم

لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا يارب العالمين.

ثانيًا: المسارعة إلى طاعة الله عز وجل:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيئًا * وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» (النساء: ٦٦-٦٨).

فيجب على المسلم أن يسرع إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ». (آل عمران: ١٣٣).

قال ابن كثير: «ندبهم إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارة إلى نيل القربات، فقال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ». تفسير القرآن العظيم (الجزء الثاني صفحة ٦٩).

وقال تعالى أيضًا في كتابه الكريم: «فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ». (البقرة: ١٤٨).

قال الشيخ الصابوني: «فبادروا وسارعوا أيها المؤمنون إلى فعل الخيرات». صفوة التفاسير (الجزء الأول صفحة ١٠٤).

وأقول لحضراتكم: يطلُّ علينا نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم بنور نبوته الشريفة ليرشدنا إلى المسارعة إلى الأعمال الصالحة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا». رواه مسلم في صحيحه (١١٨).

فهلّموا إلى الاستجابة لأمر رسول الله قائدنا ونعم القائد هو صلوات ربّي وسلامه عليه.

ثالثًا: التعايش مع كتاب الله الكريم:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». (المائدة: ١٥، ١٦).

فقد جعل الله عزّ وجل كتابه منهج حياة وجعله من أعظم أسباب الهداية والاستقامة.

فلقد قال الله تعالى: «الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ». (البقرة: ١، ٢).

فالقرآن الكريم هادٍ للصائرين إلى التقوى بامثال الأوامر واجتناب
النواهي، واسمعوا حضراتكم كلام نبينا صلى الله عليه وسلم الذي يضيء
لنا الطريق إلى المولى عزَّ وجل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القرآن شافعٌ مُشَفَّعٌ وما حِلُّ
مُصَدَّقٌ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى
النار». رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وصحَّحه الألباني في
السلسلة الصحيحة (٢٠١٩).

فالقرآن الكريم يزرع الإيمان ويزيِّ النفس، وإنَّ آيات القرآن الكريم تنزل
على قلب المؤمن بردًا وسلامًا فيثبت على صراط الله المستقيم.
فاللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا وجملاً همومنا وأحزاننا.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد / فمن أسباب استقامة العبد:

رابعًا: الإخلاص ومجاهدة النفس:

فلقد قال المولى سبحانه وتعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ». (العنكبوت: ٦٩).

وقال أيضًا سبحانه وتعالى: «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ». (محمد: ١٧).

فكلما اجتهد العبد في طاعة الله وفقه الله لطاعته وثبت قدمه على صراطه المستقيم .

فنفسك تأمرك بترك الصلاة وأنت تجاهدها فتصلي الصلوات الخمس، ونفسك تأمرك بالنظر المحرّم إلى النساء، وأنت تجاهدها فتعصّ بصرك.

وهكذا تظُّلُّ تجاهد نفسك وترتفع منزلتك عند الله حتى تكون في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. فاللهم اجعلنا في صحبة نبيِّك وصحب نبيك الكرام.

خامسًا: طلب العلم والدعوة إلى الله:

لقد قال الله عزَّ وجل في كتابه الكريم: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ». (فاطر: ٢٨).

فكلما ازداد العبد علمًا ازداد خشيةً، وكلما ازداد خشيةً ازداد طاعةً لله واستقام على أمر الله، ونحن نعلم أنَّ العبد الذي ليس عنده علمٌ قد يعبد الله على جهلٍ، أما العالم فهو الذي يعلم من سنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يعينه على تحقيق العبودية لله كما أرادها المولى عزَّ وجل.

ومن تعلَّم العلم فعمل به ودعا الناس إلى الله عزَّ وجل فإن ذلك من أسباب الاستقامة؛ لأنه سيفوز بدعاء الكون له؛ فلقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحَوْتِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ». رواه الترمذي في سننه (٢٦٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١٣).

وهو من حديث أبي أمامة الباهلي.

سادساً: الصُّحبة الصالحة:

فالرجل على دين خليله، والصاحب إمّا أن يأخذ بيدك إلى طريق الله المستقيم وإما أن يأخذ بيدك إلى غضب الله وعقابه.

فابحث عن الأصدقاء الصالحين المخلصين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل». رواه الترمذي في سننه (٢٣٧٨) وحسنه الألباني رحمه الله.

سابعاً: الدعاء:

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم». رواه مسلم (٢٥٧٧).

فعندما نتأمل هذا الحديث القدسي نعلم أنّ الهداية من عند الله وبيده سبحانه وتعالى، وأنّه لا ملجأ إلا إليه، فلا بد أن نلجأ إلى الله ونرفع أكفّ الضراعة إليه وندعوه قائلين وداعين بدعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا مُقَلِّبَ القلوب ثبّت قلبي على دينك». الترمذي في السنن (٢١٤٠) وصحّحه الألباني.

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ فَيَقُولُ أُنْسَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ هَذِهِ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا بَكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعِينَ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يَقْلِبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢١٤٠) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وكان يدعو إذا قام من الليل كما في حديث عائشة: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون؛ اهديني لما اختلف فيه من الحق يا ذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». رواه مسلم (٧٧٠).

فالدعاء الدعاء أيها الإخوة، وأسأل الله العليّ القدير أن يرزقنا خلق الاستقامة، اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم اشفي مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجزاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنا؛ ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* نتائج الاستقامة *

الجمعة: ٢٣ من شوال ١٤٣٤هـ - ٣٠ من أغسطس ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسَنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل
عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»
(الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فلقد تحدّثنا في اللقاء السابق عن بعض الأحاديث الواردة في فضل الاستقامة، كما تحدّثنا عن كيفية الاستقامة على طاعة الله عزّ وجل من خلال ما جعل الله من أسبابٍ لاستقامة العبد على طاعة المولى سبحانه وتعالى، واليوم بإذن الله تعالى نتحدث عن ثمرات الاستقامة على طاعة الله سبحانه وتعالى، والتي نسأل المولى عزّ وجل أن نكون مُحصّلين لها سائرین على دربها، وكذلك نتحدث عن الحَسرات التي يجنيها كلُّ مَنْ ترك الاستقامة، من هذه الثمرات:

أولاً: الحياة الطيّبة:

فالمؤمن -أيها الإخوة- الذي يعيش دومًا على طاعة الله عزّ وجل؛ يعيش في جنّة الدنيا وجنّة البرزخ وفي جنّة الآخرة، فجنة الدنيا هي جنّة الإيمان بالله عزّ وجل.

وأقول لحضراتكم: إنّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الرغم من البلاء الذي تعرّضوا له، وعلى الرغم من تلك التضحيات التي قدّموها لنصرة دين الله سبحانه وتعالى؛ فقد كانوا أطيب الناس حياةً لأنهم تعايشوا مع كتاب الله عزّ وجل وسُنّة النبي صلى الله عليه وسلم بقلوبهم النقيّة وأرواحهم الزكيّة.

فاللهم اجعلنا وهذا الجمع الكريم من الذين يحيون حياةً طيّبة، آمين

يارب العالمين.

ثانيًا: حفظ الله للعبد:

فإذا استقام العبد على طاعة الله نَفَذَ أوامره وحفظ حدوده؛ حفظه الله تعالى وكان معه.

فعن ابن عباس قال: كنتُ خلف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلماتٍ، احفظِ اللهَ يحفظُك، احفظِ اللهَ تجده تجاهك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك؛ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». رواه الترمذي في سننه (٢٥١٦) وصحَّحه الألباني رحمه الله.

ثالثًا: البُشْرَى الطَّيِّبَةُ:

فلقد قال الله تعالى في مُحكم آياته: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ». (فُصِّلَتْ: ٣٠).

أي: آمنوا بالله عزَّ وجل إيمانًا صادقًا وأخلصوا العمل له سبحانه، ثم

استقاموا على توحيد الله وطاعته، وثبتوا على ذلك حتى الممات.
فلقد استقاموا على شريعة الله، في سلوكهم، وأخلاقهم، وأقوالهم،
وأفعالهم، فكانوا مؤمنين حقًا.

وأقول لحضراتكم: إِنَّ قول الله تبارك وتعالى: «نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ». (فُصِّلَتْ: ٣١).

أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم
في الحياة الدنيا، نسدّدكم ونوفّقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون
معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصُور
نُؤمّنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم
إلى جنات النعيم، والتي فيها ما تشتهيهِ أنفسكم وتقرُّ به أعينكم ولكم
فيها ما تطلبون، فهذا كلُّه من ربِّ غفور رحيم.

اللهم اجعلنا من أهل الجنة يارب العالمين.

رابعًا: المرور السريع على الصراط:

أيها الإخوة الكرام: إِنَّ من هُدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم
الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه؛ هُدي هناك إلى الصراط المستقيم
الموصل إلى جنّته.

وأقول لحضراتكم: إنَّه على قدر ما يكون الثبات على طريق الله والتمسُّك بكتاب الله وسنَّته رسول الله يكون الثبات على الصراط يوم القيامة، وهذا الصراط ممرٌّ خطيرٌ للغاية يشهد لخطورته أنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقف على جنباته والناس يمرُّون، وهو يدعو «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ». رواه مسلم (رقم ١٩٥).

ويكون مرور الناس بحسب أعمالهم في الدنيا؛ فمنهم من يمرُّ بسرعةٍ مذهشة حتى وكأنه البرق الخاطف، ومنهم من يمرُّ دون ذلك إلى أن ينجو من ينجو ولو حبواً على يديه ورُكبتيه، ويهلك من يهلك بسقوطه في جهنم دار الشقاء والهوان والبوار والخسران والعياذ بالله.

فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خَفَّ على صراط الآخرة ونجا، ومَن عدلَ عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعزُّر في أول قدمٍ من الصراط وتردَّى؛ فاحذر ولا توجَّه التوبة إلى غدٍ. والله درُّ القائل:

ولا تبقِ فعلَ الصالحاتِ إلى غدٍ * لعلَّ غدًا يأتي وأنتَ فقيدٌ

خامساً: الفوز بالجنة والنجاة من النار:

فلقد قال المولى عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ

ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (الأحقاف: ١٣، ١٤).

فَمَنْ اسْتَقَامَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَالِدًا فِيهَا؛ فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مَعَ نَبِيِّكَ وَصَحْبِ نَبِيِّكَ يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ.

* أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ الْكِرَامُ: هَذِهِ بَعْضُ ثَمَرَاتِ الْإِسْتِقَامَةِ، وَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ لِمَنْ عَاشَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ وَذَاقَ حَلَاوَةَ الطَّاعَةِ، ثُمَّ تَرَكَ كُلَّ ذَلِكَ وَعَادَ لِيُرْتَعَ فِي أَوْحَالِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَصَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا». (النحل: ٩٢).

أَيُّ وَلَا تَكُونُوا فِي نَقْضِكُمْ لِلْعَهْدِ بِأَسْوِ الْأَمْثَالِ وَأَقْبِحِهَا وَأَدْلُهَا عَلَى سَفْهِ مَتَعَاتِيهَا؛ وَذَلِكَ كَالَّذِي تَغْزَلُ غَزْلًا قَوِيًّا فَإِذَا اسْتَحْكَمَ وَتَمَّ مَا أُرِيدَ مِنْهُ نَقَضْتَهُ فَجَعَلْتَهُ أَنْكَاثًا، فَتَعَبْتَ عَلَى الْغَزْلِ ثُمَّ عَلَى النِّقْضِ وَلَمْ تَسْتَفِدْ سِوَى الْخِيْبَةِ وَالْعِنَاءِ وَسَفَاهَةِ الْعَقْلِ، (وَنَكْثٌ: النِّكْثُ: نَكْثُ الْأَكْسِيَةِ وَالْغَزْلُ قَرِيبٌ مِنَ النِّقْضِ) كَمَا قَالَ الرَّاعِبُ فِي مَفْرَدَاتِهِ. مَفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ لِلرَّاعِبِ (صَفْحَةُ ٦٣٧).

والحسرات التي يجنيها كل من ترك الاستقامة كثيرة، منها:

أولاً: الشقاء المستمر:

ودليل ذلك قول الله تعالى في سورة طه: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى». (طه: ١٢٤-١٢٧).

فمن خالف أمر الله وما أنزله على رسوله أعرض عنه وتناساه؛ فلاطمأنينة له في الدنيا ولا انشراح ل صدره، بل صدره ضيقٌ لضلالة ويحشره الله عز وجل ولا حُجَّةَ له، ويُحتمل أن يكون المراد أن يُبعث إلى النار أعمى البصر والبصيرة؛ وهذا بسبب أنه نسي آيات الله يعارضه عنها فهو يُنسى أيضاً في هذا اليوم العظيم، وهكذا يجازي الله المسرفين المكذِّبين بآيات الله في الدنيا والآخرة ولهذا قال: «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى» أي أشد ألمًا من عذاب الدنيا وأدوم.

اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

ثانيًا: الموت الحقيقي:

فلقد روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل البيت الذي يُذَكَّرُ اللهُ فيه، والبيت الذي لا يذكرُ اللهُ فيه مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ». رواه البخاري في صحيحه (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

وهذا فيه الندب إلى ذكر الله تعالى في البيت، وأنه لا يخلو من الذكر، وفيه أن طول العمر في الطاعة فضيلة، وإن كان الميِّت ينتقل إلى خير؛ لأنَّ الحَيِّ يلتحق به ويزيد عليه بما يفعله من الطاعات.

وأقول لحضراتكم: أكثرُوا من ذكر الله في بيوتكم.

فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنَّ الشيطان ينفِرُ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة». رواه مسلم في صحيحه (٧٨٠) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فلنقرأ سورة البقرة ولنذكر الله ذكراً كثيراً؛ فذكرُ الله بركة واطمئنان لقلوبنا، اللهم اجعلنا لك ذاكرين لا غافلين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله وكفى وسلاماً على عباده الذين اصطفى وعلى خاتمهم
المجتبى صلى الله عليه وسلم.

أما بعد؛ فمن الحشرات التي يجنيها كل من ترك الاستقامة:
ثالثاً: تكون منزلته عند الله أخطأ من الدواب:

اسمع في ذلك قول الله تعالى: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ
لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ». (الأعراف: ١٧٩).

يبين ربنا تبارك وتعالى كثرة الغاوين الضالين المتبعين إبليس اللعين
بقوله تعالى «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا»؛ أي أنشأنا لجنهم كثيراً من الجن والإنس صاروا
كالبهائم، بل البهائم أحسن حالاً منهم، لهم قلوب لا يصل إليها فقه
ولا علم، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها سمعاً
يصل إلى قلوبهم، أولئك كالبهائم، أولئك هم الغافلون عن الإيمان بالله
وطاعته وذكره؛ فلقد خلق الله لهؤلاء الأفتدة والأسماع والأبصار لتكون

عونًا لهم على القيام بأوامر الله وحقوقه فاستعانوا بها على ضدّ هذه الغاية.

رابعًا: ضياع الأهل والأموال:

فإنّ الذي لا يعيش حياة الاستقامة لا يبارك الله له في أهله ولا ماله ولا نفسه؛ فأما الأهل فإنهم سيرون أمامهم قدوةً سيئةً فيقلدونه في كل شيءٍ، وأما المال فسوف يضيع في المعاصي، وبذلك يخسر نفسه وأهله وماله في الدنيا والآخرة، فلقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ». (التحریم: ٦).

ولقد قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِهِ». رواه البخاري في صحيحه (٨٩٣) ورواه مسلم (١٨٢٩).

وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنه؛ فلا بد من متابعة الأهل للأولاد وتربيتهم التربية الطيبة.

خامسًا: البشارة بالنار عند الموت:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَلَوْ تَرَى إِذُ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ

أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ». (الأنفال: ٥٠، ٥١).

يقول العلامة السعدي في تفسيره: «ولو ترى الذين كفروا بآيات الله حين توفاهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم وقد اشتد بهم القلق، وعظم كربهم، و«الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ» يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم، ونفوسهم متمنعةٌ مستعصيةٌ على الخروج؛ لعلمها ما أمامها من العذاب الأليم، ولهذا قال: «وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» أي العذاب الشديد المحرق، ذلك العذاب حصل لكم بغير ظلمٍ ولا جور من ربكم، وإنما هو بما قدمت أيديكم من المعاصي...». تفسير تيسير الكريم الرحمن (صفحة ٣٥٨).

نعوذ بالله من عذاب الحريق، وأقول لحضراتكم: إِنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ ينادي على هذا النوع من الناس فيقول: «أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب». حديث صحيح رواه أحمد (١٨٠٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

سادسًا: يُحشر مع العصاة والمجرمين:

في ذلك اليوم الذي يبلغ طوله خمسين ألف سنةٍ بلا طعامٍ ولا شرابٍ ولا ظلٍّ.. الكل ينتظر بدء الحساب، ولقد قال رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ». متفق عليه. البخاري (٦٥٣٦)

ومسلم (٢٨٧٦).

فكيف بمن عُدب؟!

فهذا الإنسان -أيها الإخوة- الذي عاش بعيداً عن طاعة الرحمن وعن أتباع سيد الأنام صلى الله عليه وسلم؛ إذا جاء يوم القيامة يقف في أرض المحشر ينتظر بدء الحساب خمسين ألف سنة، ويفيض العرق حتى يصل إلى كعبيه، أو ركبتيه، أو حقويه، أو يلجمه العرق إجماماً؛ فإذا أراد أن يذهب إلى حوض النبي صلى الله عليه وسلم ليشرب إذا بالملاتكة تدفعه بعيداً عن الحوض لأنه بدّل وغير، ويدعو عليه النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: «سُحِقًا سُحِقًا لمن بدّل بعدي». متفق عليه، البخاري (٦٥٨٥) ومسلم (٢٢٩١).

وإذا أراد أن يمرّ على الصراط فإنه لا يستطيع؛ لأنّ الصراط مُظلم، وهذا الرجل الذي ترك الاستقامة ولم يتزوّد بتقوى الله والخوف من عذابه قد انطفأ نوره فلا يرى شيئاً.

ولقد أخبر مولانا عزّ وجل عن هذا المشهد الرهيب فقال: «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ

وَعَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْعَزُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤَخِّدُ مِنْكُمْ فِدْيَةَ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَيُنْسِ الْمَصِيرُ». (الحديد: ١٣-١٥).

ولذلك قال تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ». (الحديد: ١٦).

بلى والله: لقد آن الأوان لأن تخشع قلوبنا لذكر الله وما نزل من الحق،
وأن نستقيم على طاعة مولانا وخالقنا ورازقنا فهو نعم المولى ونعم
النصير؛ أسأل الله العلي القدير أن يرزقنا حُسن الخاتمة، اللهم ارزقنا
حُسن الخاتمة، اللهم ارزقنا حُسن الخاتمة، اللهم اهدنا بفضلك فيمن
هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولَّننا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت،
وقنا واصرف عَنَّا شَرَّ ما قضيت.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، اللهم
ارزقنا حقَّ تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عَنَّا
يارب العالمين، اللهم متَّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله
الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ربَّنَا
آتنا في الدنيا حسنَةً، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

آمين آمين.. وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه
وسلِّم.

خلق التواضع ودرجاته

الجمعة: ٣٠ من شوال ١٤٣٤هـ - ٦ من سبتمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ إِنَّه من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله وصفيُّه من خلقه وحببيِّه، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به العُمة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عتًا خير ما جزيت به نبيًا عن قومه ورسولًا عن أمته.

أما بعد؛ فَإِنَّ نعمة التواضع نعمةٌ عظيمةٌ امتنَّ اللهُ بها على عباده، ولقد كان للنبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم النصيب الأعظم من هذه النعمة؛ فلقد كان صلوات ربي وسلامه عليه سيِّد المتواضعين حتى إنه لما أراد أن يخبر الأمة عن قدره عند الله عزَّ وجلَّ قال: «أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيٍّ يومئذ آدم فَمَن سواه إلا تحت لوائِي، وأنا أوَّل من تنسَّقُ عنه الأرض ولا فخر». رواه الترمذي (٣١٤٨)

وصحَّحه الألباني وهو من حديث أبي سعيد.

فاستمعوا ماذا قال بعد قوله: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) قال: (ولا فخر)، وهذا من كثرة تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لنا فيه أسوةٌ حسنة .

أيها الإخوة الكرام: تعالوا بنا لتتعرف على هذا الخلق العظيم من أخلاق الإسلام وأخلاق نبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال معرفته لغةً واصطلاحًا، وكيف أنَّه من صفات عباد الرحمن، وما درجات التواضع؟

* أيُّها الإخوة الكرام:

إنَّ التواضع في اللغة: ورد في مادة (وضع) من القاموس المحيط: (تواضع: تدلَّل وتخاشع). القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٧٦١)، وورد في المعجم الوسيط في مادة (وضع) أيضًا.

(تواضع فلان: تدلَّل وتخاشع). المعجم الوسيط (صفحة ١٠٤٠).

أما التواضع في الاصطلاح: هو الاستسلام للحق، وترك الاعتراض في الحكم.

ولقد جاء في مدارج السالكين: (قال الإمام الجنيد: التواضع، هو خفض الجناح ولبين الجانب). مدارج السالكين (الجزء الثاني صفحة ٢٥٣).

ومن هذا نأخذ أنَّ التواضع هو الخضوع للحق والانقياد له، ومن التواضع أن نقبل الحق ممن قاله ولو سمعناه من صبي.

* أيها الإخوة الكرام:

حُثَّ عَلَى خُلُقِ التَّوَاضُعِ جَعَلَهُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ؛ فَالتَّوَاضُعُ مِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا». (الفرقان: ٦٣).

فمن صفات عباد الرحمن أنهم يمشون على الأرض هونًا أي بتواضعٍ وسكينةٍ ووقار، والتواضع أيها الإخوة الكرام: علامة حبِّ الله للعبد كما قال تعالى في كتابه الكريم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ». (المائدة: ٥٤).

يقول العلامة السعدي في تفسيره: «يخبر تعالى أنه الغنيُّ عن العالمين، وأنه من يرتدُّ عن دينه فلن يضرَّ الله شيئًا، وإنما يضرُّ نفسه، وأنَّ الله عبادًا مخلصين، ورجالًا صادقين، قد تكفَّلَ الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعدهم بالإتيان بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافًا، وأقواهم نفوسًا، وأحسنهم

أخلاقًا، أَجَلُّ صفاتهم أَنَّ اللهَ «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ»؛ فَإِنَّ محبة الله للعبد هي أَجَلُّ نعمةٍ أنعم بها عليه، وإذا أحب الله عبدًا يَسَّرَ له الأسباب، وهوَّنَ عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وتَرَكَ المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد، ومن لوازم محبة العبد لرَبِّه، أنه لا بد أن يتَّصف بمتابعة الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلم ظاهرًا وباطنًا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله كما قال تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» كما أَنَّ من لازم محبة الله للعبد أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن الله: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبته، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى، والإكثار من ذكره؛ فَإِنَّ المحبة بدون معرفةٍ بالله ناقصةٌ جدًّا، بل غير موجودةٍ وإن وُجدت دعواها، ومن أحبَّ الله أكثر من ذكره.

وإذا أحبَّ الله عبدًا قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل، ومن صفاتهم أنهم «أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ» فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم

ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقُرب الشيء الذي يُطلب منهم، وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله أَعَزَّةٌ قد اجتمعت همهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سببٍ يحصل به الانتصار عليهم.

قال تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» وقال تعالى: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربَّه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي والتي هي أحسن، فتجتمع الغلظة عليهم واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم. «يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» بأموالهم وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم «وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» بل يقدِّمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين... «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» أي واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمَّت رحمته كلَّ شيءٍ». انتهى من تفسير تيسير الكريم الرحمن (صفحة ٢٥٣، ٢٥٤).

* هذه أيها الإخوة من صفات المؤمنين الطيبة، أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه متعززا على عدوه.

* ولله درُّ القائل:

تَوَاضَعُ إِذَا كُنْتَ تَبْغِي الْعُلَا * وَكُنْ رَاسِيًّا عِنْدَ صَفْوِ الْعَضْبِ

فَخَفِضُ الْفَتَى نَفْسَهُ رَفْعُهُ * لَهُ، وَاعْتَبِرْ بِرَسُوبِ الذَّهَبِ

ما أحلاها من صفةٍ يتَّصفُ بها المؤمن!

* وللتواضع ثلاثُ درجاتٍ:

- الدرجة الأولى: التواضع للدين، وهو ألا يعارض بمعقولٍ منقولًا. ولا

يتَّهم للدين دليلًا، ولا يرى إلى الخلاف سبيلًا.

والتواضع للدين: هو الانقياد لما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

والاستسلام له والإذعان، وذلك بثلاثة أشياء:

* الأول: ألا يعارض شيئًا مما جاء به.

* الثاني: ألا يتهم دليلًا من أدلة الدين.

* الثالث: ألا يجد إلى خلاف النَّصِّ سبيلًا لا بباطنه، ولا بلسانه، ولا بفعله.

- الدرجة الثانية: أن ترضى بما رضى الحقُّ به لنفسه عبدًا من المسلمين

أخًا وأن تقبل من المعتذر معاذيره.

- الدرجة الثالثة: أن تتَّضَعَ للحقِّ فتنزل عن رأيك وعوائدك في الخدمة

ورؤية حَقِّكَ في الصُّحبة، وعن رسمك في المشاهدة، وحاصل الأمر: أن تعبد الحقَّ سبحانه بما أمرك به على مقتضى أمره لا على ما تراه من رأيك. من مدارج السالكين بتصرُّف (الجزء الثاني من صفحات ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨).

* وأقول لحضرائكم: إنَّ هناك فرقاً بين التواضع والمهانة.

فالتواضع يتولَّد من بين العلم بالله عزَّ وجلَّ ومعرفة أسمائه الحسنی وصفاته العُلیا، ومحبته وإجلاله، فيتولد من ذلك خُلُق التواضع وهو انكسار القلب لله وخفض الجناح للمؤمنين، فلا يرى له على أحدٍ فضلاً، ولا يرى له عند أحدٍ حقًّا، بل يرى الفضل للناس عليه.

أما المهانة: فهي الدناءة والخسَّة وبذل النفس في نيل حظوظها وشهواتها، فهذا كله: ضِعَةٌ لا تواضع، والله عزَّ وجلَّ يحب التواضع ويبغض المهانة والمذلَّة.

* أيها الإخوة الكرام: إنها دعوةٌ طيبة إلى التواضع تأتينا من فوق سبع سماواتٍ عندما قال: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا». (الفرقان: ٦٣).

وقال تعالى أيضاً: «وَقَصَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَهِمَا وَقُلْ

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا». (الإسراء: ٢٣، ٢٤).

فقوله تعالى: «وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ»: أي تواضع لهما ذُلًّا
لهما ورحمةً واحتسابًا للأجر، لا لأجل الخوف منهما.

قال في الجلالين: («وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ» أَلِنْ جَانِبَكَ الذَّلِيلَ). من
تفسير الجلالين (صفحة ٢٨٤).

أيها الإخوة الكرام:

التواضع سَمْتُ الْمُؤْمِنِينَ، وبه القدر العالی يكون ياذن الله.

ولله دُرُّ الشاعر الذي قال:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ قَدْرًا وَرَفْعَةً * فَلِنْ وَتَوَاضَعْ وَاتْرِكِ الْكِبَرَ وَالْعُجْبَانَ

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛ فلقد قال المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: «وَخُفِضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». (الشعراء: ٢١٥).

أي ألن جانبك للمؤمنين الموحّدين يا محمد، فكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك، فهل يليق بمؤمنٍ بالله ورسوله الكريم وَيَدَّعِي اتِّبَاعَهُ والافتداء به أن يكون فظًا غليظًا متكبرًا على الناس؟! وإن رأى منهم معصيةً أو سوء أدبٍ هجرهم ومقتهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق!

ومع أمر الله لنا بالتواضع نهانا عن التكبر على الناس؛ ليحب الناس بعضهم بعضًا.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَجًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا». (الإسراء: ٣٧).

يقول الحافظ ابن كثير: (يقول تعالى ناهياً عباده عن التَّجَبُّرِ والتَّبَخُّرِ في المِشْيَةِ: «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا» أي متبخترًا متميلاً مشي الجبارين «إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ» أي لن تقطع الأرض بمشيك... وقوله «وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا» أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك). من تفسير القرآن العظيم (الجزء الخامس ص ٤٧).

بل قد يُجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخَّرُ، يَمْشِي فِي بُرْدِيهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ؛ فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». رواه مسلم في صحيحه (٢٠٨٨).

ولقد بَوَّبَ الإمام مسلم بابًا فقال: باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه.

انظروا أيها الإخوة الكرام: كيف يَحْتُنَا الإسلام على التواضع وَيُحَرِّمُ علينا التكبُّر على الناس.

بل إِنَّ المولى سبحانه وتعالى قال أيضاً في كتابه الكريم: «وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ». (لقمان: ١٨).

«وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ»: أي: لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك للناس تكبراً عليهم

وتعاضماً، «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا»: أي: خيلاءً، «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ» متبخترٌ في مشيته، «فَخُورٍ» على الناس.

فإنَّه عزَّ وجلَّ نهانا عن الكبر مستخدمًا (لا) التي تفيد النهي، وعدم التكبر على الناس من شأنه أن يؤلِّف بين قلوب الناس، فلنتواضع فمن تواضع لله عزَّ وجلَّ رفعه؛ وهذا سيد المتواضعين الذي رسم لنا طريق التواضع لتتعلَّم منه صلى الله عليه وسلم، قال أبو رفاعة: (انتهيتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطبُ قال: فقلت: يا رسول الله، رجلٌ غريبٌ جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه؟ قال: فأقبل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك خُطبته حتى انتهى إليَّ فأتي بكرسيَّ، حَسِبْتُ قوائمه حديدًا، قال: فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى خُطبته فأتمَّ آخرها). رواه مسلم في صحيحه (٨٧٦).

قال الإمام النووي عند شرحه للحديث:

(وقد اتفق العلماء على أنَّ من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور وعوده صلى الله عليه وسلم على الكرسي ليسمع الباكون كلامه ويروا شخصه الكريم). من صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء الثالث صفحة ٣٤٥).

هذا هو تواضع نبينا صلى الله عليه وسلم، فلنتأسَّ به عليه الصلاة والسلام، وللحديث بقيةٌ إن شاء الله تعالى، وأسأل المولى القدير أن يوفِّقنا لما يحبه ويرضاه فهو وليُّ ذلك والقادر عليه.

اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجماء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حقَّ تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنَّا يارب العالمين، اللهم متَّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا؛ ربَّنَا آتِنَا فِي الدنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.. آمين آمين وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبيِّ الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

* التواضع في سنة النبي صلى الله عليه وسلم *

الجمعة: ٧ من ذي القعدة ١٤٣٤هـ - ١٣ من سبتمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنُسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فلقد تحدّثنا في اللقاء السابق عن التواضع في اللغة والاصطلاح، وتحدّثنا عن درجات التواضع، واليوم بإذن الله تعالى نواصل الحديث من خلال: حصّ النبي صلى الله عليه وسلم على التواضع، والحديث عن التواضع المحمود، وعن سيد المتواضعين صلى الله عليه وسلم، كيف كان متواضعًا؟

* أيُّها الإخوة الكرام: لقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم الأُمَّة على التواضع، وأقول لحضراتكم: لماذا حرص نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم على هذا؟ الجواب: لإشاعة ونشر روح المحبة والتعاون والتآلف بين أبناء المجتمع المسلم؛ فإذا تواضع أحدنا لغيره كان ذلك أدعى لأن يحبَّ بعضنا بعضًا ويتآلف بعضنا مع بعض.

* أيُّها الأحبَّة الكرام: لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ». رواه مسلم في صحيحه (٢٨٦٥).

ولقد بوَّب الإمام مسلم في صحيحه للأحاديث التي ذكرها في هذا الباب، والتي منها الحديث الذي ذكرته لحضراتكم آنفًا.

باب: الصفات التي يُعرَفُ بها في الدنيا أهل الجَنَّةِ وأهل النار؛ فمن صفات أهل الجنة التواضع، ولندقِّق النظر في حديث النبي صلى الله عليه

وسلم (وإنَّ الله أوحى إليّ) بأسلوب التوكيد الذي وسيلته هنا أداة التوكيد (إنَّ) أن يتواضع بعضنا لبعض حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ولا يتكبر أحد على أحد.

كما قال تعالى: «وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ». (لقمان: ١٨).

وانظر إلى أسلوب التوكيد أيضاً الذي وسيلته (إنَّ)، حيث يؤكد ربُّ العزَّة تبارك وتعالى على أنه لا يحب المختال الفخور الذي يمشي مشية المختالين المتكبرين المتعاليين، فلا يفخر أحدٌ على أحد ولا يبغى أحد على أحد.

رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفاتكم؟!». رواه البخاري في صحيحه (٢٨٩٦).

ولقد بَوَّبَ الإمام البخاري فقال: باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ولقد روى الإمام مسلم في صحيحه حديثاً شريفاً يبيِّن كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يحثُّنا على هذا الخلق الكريم، فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ الشيطان يحضُّرُ أحدكم عند كل شيءٍ من شأنه، حتى يحضره عند

طعامه؛ فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليُمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها، ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغَ فليلقَ أصابعه فإنه لا يدري في أيِّ طعامه تكون البركة». رواه مسلم (٢٠٣٣).

فقوله صلى الله عليه وسلم (إنَّ الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيءٍ من شأنه) فيه التحذير من الشيطان والتنبيه على ملازمته للإنسان في تصرفاته، فينبغي أن نحترز منه ولا نغترَّ مما يزينه.

فإذا سقطت اللقمة من يد الأكل فليزل ما بها من أذى ثم ليأكلها، فإذا انتهى من طعامه فليلقَ أصابعه فلا يدري أحدنا في أي طعامنا البركة؛ في الذي أكلناه أو فيما بقي على أصابعنا أو في ما بقي في أسفل القصعة أو في اللقمة الساقطة؟ فينبغي أن نحافظ على هذا كله.

بل إنَّ نبينا صلى الله عليه وسلم بيَّن أنَّ مولانا عزَّ وجل سيرفع قدر المتواضعين في الدنيا والآخرة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقةً من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله». رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٥٨٨).

وأقول لحضراتكم: إنَّ الإمام مسلمًا عقد لهذا الحديث بابًا أسماه: باب: استحباب العفو والتواضع.

يقول الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: «قوله صلى الله عليه وسلم (وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله): فيه وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلةً، ويرفعه الله عند الناس، ويجلُّ مكانه، والثاني: أنَّ المراد ثوابه في الآخرة، ورفعها فيها بتواضعه في الدنيا». من صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء الثامن صفحة ٣١٧).

وقد يكون المراد الوجهين معًا كما ذكر أيضًا الإمام النووي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من آدميٍّ إلا في رأسه حكمةٌ بيد مَلَكٍ، فإذا تواضع قيل للمَلَك ارفع حَكَمته، وإذا تكَبَّر قيل للمَلَك: دع حَكَمته». رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٧٥).

والتواضع المحمود على نوعين:

النوع الأول: تواضع العبد عندما يمثل لأمر الله عزَّ وجل فينفذه وأن ينتهي عما نهى الله عز وجل عنه.

والنوع الثاني: تواضع لعظمة الله سبحانه وتعالى وجلاله، وخضوعه لعزَّته وكبريائه.

وهذا سيد المتواضعين صلى الله عليه وسلم الذي رسم لنا طريق

التواضع ليتعلم الناس جميعًا كيف يكون التواضع.

فعن عبد الله بن عمرو حَدَّث: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ لَهُ صَوْمِي فَدَخَلَ عَلَيَّ، فَأَلْقَيْتَ لَهُ وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ وَحَشَوْهَا لَيْفًا، فَجَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ وَصَارَتِ الْوَسَادَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ...». رواه البخاري في صحيحه (١٩٨٠).

انظروا إلى تواضعه صلى الله عليه وسلم.

يقول الحافظ في الفتح: «قوله: (فجلس على الأرض وصارت الوسادة بيني وبينه) فيه بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التواضع وترك الاستئثار على جلسه، وفي كون الوسادة من آدم حشوها ليف بيان ما كان عليه الصحابة في غالب أحوالهم في عهده صلى الله عليه وسلم من الضيق، وإذ لو كان عنده أشرف منها لأكرم بها نبيه صلى الله عليه وسلم». من فتح الباري بشرح صحيح البخاري (الجزء الرابع صفحة ٢٥٤).

ومن باب تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس بن مالك أن جدته مَلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَطْعَامٍ صَنَعْتَهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «قَوْمُوا فَلَأَصِلَّ لَكُمْ» قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: «فَقَمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طَوْلِ مَا لَيْسَ، فَنَضَحْتَهُ بِمَاءٍ؛ فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم وصففتُ أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا؛ فصلَّى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم انصرف». رواه مسلم في صحيحه (رقم ٦٥٨).

هذا هو خُلُق سيد البشر صلى الله عليه وسلم والذي يجب علينا أن نتعلَّمه منه عليه الصلاة والسلام، لا نتكَبَّر على أحدٍ ولا نتعالى على أحد؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دُعِيَ لَبَّى الدعوة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو دُعيتُ إلى كُرَاعٍ أو ذراعٍ لأجبت، ولو أُهدِيَ إليَّ ذراعٌ أو كراعٌ لقبلت». رواه البخاري في صحيحه (٥١٧٨).

هذا هو رسولنا الكريم بأخلاقه الكريمة، وصدق ربنا تبارك وتعالى حينما قال له: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ». (القلم: ٤).

بل إنَّ أبا سعيدٍ الخدري قال: أحبوا المساكين فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: «اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرنِي في زمرة المساكين». رواه ابن ماجه في سننه وصحه الألباني رحمه الله تعالى.

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان يسلم على الصبيان إذا مرَّ عليهم، ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ويتبعُ الجنائز

ويواسي الصحابة بالقليل والكثير، هذا هو نبينا الكريم المتواضع والذي فيه الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، قال تعالى في كتابه الكريم: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا». (الأحزاب: ٢١).

أيها الإخوة الكرام: تمسكوا بالأسوة الحسنة، تمسكوا بالقدوة الطيبة الصالحة، تمسكوا ببنبيكم الأكرم الأمين صلى الله عليه وسلم، هذه هي أفعاله أمامكم هل ترضون غيرها بديلاً؟! اللهم لا.

أيها الإخوة الكرام: خُلق التواضع خُلِقَ طيبٌ عظيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأكرم الأمين صلى الله عليه وسلم.

أما بعد؛ فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بحق سيد المتواضعين ونحن نتنقل معكم في بستان سُنَّتِه العطرة لنرى كيف كان عليه الصلاة والسلام متواضعًا.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مكثتُ سنةً أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية... الحديث فيه «وإنه -أي رسول الله صلى الله عليه وسلم- لعلى حصيرٍ ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم (جلد) حشوها ليف فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت، فقال: «ما يبكيك؟» فقلت: يا رسول الله إنَّ كِسْرِي وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله!..»

فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟!». رواه البخاري في صحيحه (٤٩١٣).

وهذا أيضًا من تواضعه صلى الله عليه وسلم قال: (أما ترضى أن تكون

لهم الدنيا ولنا الآخرة؟).

لم يختَر النبي صلى الله عليه وسلم المُلْك برغم أنه قد عُرض عليه،
فإن أراد نبيًّا عبدًا وإن أراد نبيًّا مَلِكًا، فقال: نبيًّا عبدًا.

وكان من تواضعه عليه الصلاة والسلام لا يأنف أن يمشي مع الأرملة
والمسكين فيقضي لهما الحاجة، كما صح عنه في سنن النسائي حديث
(رقم ١٤١٤).

فلنمشي في حاجات الناس ولا تتعالى عليهم والله في عون العبد ما كان
العبد في عون أخيه، حتَّى أنه عليه الصلاة والسلام كما صح عن أنس، أنَّ
امرأةً كان في عقلها شيءٌ، فقالت: يا رسول الله إنَّ لي إليك حاجة.

فقال: «يا أم فلان انظري أيَّ السكك شئتِ، حتى أقضي لك حاجتك»
فحلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها. رواه مسلم في
صحيحه (رقم ٢٣٢٦).

ولقد بَوَّب الإمام مسلم فقال: باب: قرب النبي عليه السلام من الناس
وتبرُّكهم به.

أما قوله صلى الله عليه وسلم: (حَلَا معها في بعض الطرق) أي وقف
معها في طريقٍ يمشي فيه الناس ليقضي لها حاجتها ويفتيها، ولم يكن

ذلك من الخلوة بالأجنبية؛ لأنَّ هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها لكن لا يسمعون كلامها.

وانظر إلى تواضعه عليه الصلاة والسلام، فعن أنس بن مالك قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك إبراهيم عليه السلام». رواه مسلم في صحيحه (٢٣٦٩).

قال الإمام النووي:

(قال العلماء: إنما قال صلى الله عليه وسلم هذا تواضعًا واحترامًا لإبراهيم صلى الله عليه وسلم لخلته وأبوتته، وإلا فنبيننا صلى الله عليه وسلم أفضل كما قال صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم» ولم يقصد به الافتخار ولا التناول على من تقدّمه، بل قاله بيانًا لما أمر بيانه وتبليغه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «ولا فخر» لينفي ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام السخيفة، وقيل يُحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال: إبراهيم خير البرية قبل أن يعلم أنه سيّد ولد آدم، فإن قيل التأويل المذكور ضعيف؛ لأنَّ هذا خبرٌ فلا يدخله خلف ولا نسخ، فالجواب أنه لا يمتنع أنه أراد أفضل البرية الموجودين في عصره، وأطلق العبارة الموهمة للعموم؛ لأنه أبلغ في التواضع). من صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء الثامن صفحة ١٠٩).

أيها الإخوة الكرام: هذه مجموعة عطرة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عشنا معها اليوم ورأينا عظمة هذه الصفة؛ صفة التواضع عند نبينا صلى الله عليه وسلم، وهذا قليلٌ من كثير وللحديث بقية بإذن الله تعالى.

أسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منّا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنا يارب العالمين.

اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنَةً، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

* من تواضع صحابة النبي صلى الله عليه وسلم *

الجمعة: ١٤ من ذي القعدة ١٤٣٤هـ - ٢٠ من سبتمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل
عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»
(الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فلقد تحدّثنا في اللقاء السابق عن التواضع عن سنّة نبينا صلى الله عليه وسلم، ورأينا كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد المتواضعين صلوات ربي وسلامه عليه من خلال مواقف مشرفةٍ من سنّته العطرة، واليوم بإذن الله تعالى نتحدث عن التواضع عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، وعن ثمرات هذا الخلق العظيم، وعن الأمور التي تنافي التواضع.

* أيها الإخوة الكرام: لقد ضرب سلفنا الصالح رضوان الله عليهم المثل الأعلى في التواضع، ولا عجب في ذلك فلقد تربّوا في مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم، وتعلموا منه التواضع.

فهذه صورةٌ مشرقةٌ من تواضع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والتي تبين لنا قيمة هذه الشخصية الطيّبة، فعن أبي صالح الغفاري، أنّ عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزاً كبيرةً عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيستقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرةٍ كل يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق الذي يأتيها، وهو يومئذٍ خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمرى!!

انظروا كيف كان أبو بكر الذي كان وقتها خليفةً ماذا كان يفعل مع رعيتّه،

وهذا نموذجٌ فريد في التواضع الذي أمرنا به ديننا الحنيف وحثَّ عليه نبينا صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا الموقف نتعلم كيف يكون التواضع وكيف يكون المشي في حاجات الناس.

* أيضاً ورد عن سعيد بن المسيَّب أن أبا بكر رضي الله عنه لما بعث الجنود نحو الشام أمر يزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حَسَنَة، ولما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودِّعهم حتى بلغ ثبَّية الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله، تمشي ونحن ركبان؟!.

فقال: إنِّي أحتسب خُطاي هذه في سبيل الله.

هذا هو قَمَّة التواضع؛ يمشي وقادة جيوشه ركبان، ومع هذا لم يتكبر بل أخذ يمشي حرصاً على الثواب، لم تمنعه الخلافة، لم يمنعه المنصب من أن يتواضع ويسير بجانب جنوده وقواده.

هذا هو التواضع الحق، هذه هي أخلاق ديننا العظيم.

وها هو فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسطر لنا صفحةً مضيئة مشرقة من تواضعه رضي الله عنه.

قال قتادة: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المسجد ومعه

الجارود فإذا امرأة برزة على الطريق (قلت: ومعنى برزة على الطريق أي جالسة في الطريق وظاهرة للناس) فسلم عليها، فردت عليه، أو سلمت عليه، فرد عليها.

فقلت: هيه يا عمر، عهدتك، وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ، تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام حتى سُميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سُميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعيّة، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت، فبكى عمر رضي الله عنه.

فقال الجارود: هيه، لقد تجرأت على أمير المؤمنين، وأبكيته.

فقال عمر: دعها، أما تعرف هذه؟ هي خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمّر والله أحرى أن يسمع كلامها.

انظروا إلى تواضع عمر وهو أمير المؤمنين يسمع كلام امرأة ويبيكي؛

أحرى بنا أيها الإخوة الكرام أن نكون متواضعين متخلّقين بهذا الخلق الطيّب.

وها هو عبد الرحمن بن عوف يسطر لنا من تواضعه صفحة مشرقة نسير مقتدين بها.

فعن سعد بن الحسن التميمي، قال: كان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف

من بين عبيده، يعني: من التواضع في الرُّبِّي.

رضي الله عن الصحابة الكرام الذين علموا فعملوا؛ علموا قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي أمامة الحارثي: «البذاذة من الإيمان». صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٧٩).

والبذاذة: اللباس دون اللباس والتواضع، وراثثة الثياب في الملبس والمفرش.

فالصحابه علموا فعملوا فاقتضاء العلم العمل.

وعن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من ترك اللباس تواضعاً لله، وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق، حتى يخيره من أي حُلل الإيمان شاء يلبسها». رواه الترمذي في سننه (٢٤٨١) وحسنه الألباني رحمه الله.

أيها الإخوة الكرام: إنَّ الجمال الحقيقي ليس في ملبسٍ أو مفرش، إنَّ الجمال الحقيقي جمال المعدن.. جمال الخلق الطيب؛ ولله درُّ القائل:

ليس الجمال بمئزرٍ * فاعلم وإن رُدِّيت بُرْدًا

إنَّ الجمال معادنٌ * ومحاسنٌ أورثنُ مجدًا

هذه هي أخلاق ديننا العظيم التي ينبغي أن نسير عليها ونهتدي بخطاها في ديانا؛ فالآخرة يجعلها المولى عزَّ وجل للذين لا يريدون علوًّا في الأرض

ولا فسادًا.

قال تعالى في كتابه الكريم: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ». (القصص: ٨٣).

أيها الإخوة الكرام: التواضع رفعةٌ والتواضع على الناس ذلّةٌ.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من تواضع لله تخشعًا رفعه
الله يوم القيامة، ومن تناول تعظّمًا وضعه الله يوم القيامة».

ومن باب التواضع أيها الإخوة أن نخرج من منازلنا ولا نلقى مسلمًا إلا
رأينا له علينا فضلًا، فالتواضع نعمةٌ عظيمة، فما أنعم الله على عبدٍ
من نعمةٍ فقام هذا العبد بشكر الله على هذه النعمة إلا نفعه الله بها
في الدنيا ورفع به درجةً في الآخرة.

اللهم ارفع درجاتنا في الآخرة يارب العالمين.

* أيها الإخوة الكرام:

التواضع خلقٌ طيب مبارك من أخلاق المؤمنين، ودليل محبة الله عزَّ
وجلَّ، وهو طريقٌ يوصلنا إلى رضاه سبحانه وتعالى وإلى دار الخلد، اللهم
ارزقنا رضوانك وجنتك.

التواضع أيها الإخوة طريقٌ يقربنا من الله ويقربنا من الناس، وهو طريقٌ

للفوز بحفظ الله لنا ورعايته وعنايته، وهو دليل على الخلق الحسن،
فنسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لهذا الخلق الطيب المبارك؛ وإتماماً
للفائدة أقول لحضراتكم: إنَّ هناك أموراً تنافي التواضع، هذه الأمور لابدَّ
من التنبيه عليها حتى لا نقع فيها.

من هذه الأمور التي تنافي التواضع:

أولاً: أن يرى في نفسه أنه متواضعٌ: فهو يزيِّي نفسه بذلك ويمدحها، والله
عزَّ وجل قال في كتابه الكريم: «فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى». (النجم: ٣٢).

«فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ»: أي لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، ولا تشهدوا لها
بالكمال والثقي، فإن النفس خسيسةٌ إذا مُدحت اغترت وتكبرت، قال أبو
حيان: أي لا تنسبها إلى الطهارة عن المعاصي ولا تُثنوا عليها، فقد علم
الله منكم الزيِّي والتقيي قبل إخراجكم من صلب آدم وقبل إخراجكم من
بُطون أمهاتكم. «هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى» أي هو تعالى العالم بمن أخلص
العمل واتقى ربه في السرِّ والعلن. من صفوة التفاسير (الجزء الثالث
صفحة ٢٧٧).

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم
بأهل البرِّ منكم». رواه مسلم في صحيحه (٢١٤٢).

ثانيًا: أن يرى المرء لنفسه حقًا على الله لأنه يعمل بطاعة الله.

المرء لابد أن يعلم أنه مهما بلغ من العلم، والعمل الصالح، فإنه لا يدخل الجنة بهذا العلم وهذا العمل الصالح إلا برحمة الله وفضله العظيم.

فلقد وجّه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الطيبين الكرام لهذا الأمر، والصحابة هم خير الناس بعد الأنبياء الكرام، فقال صلى الله عليه وسلم لهم ولنا من بعدهم: «ليس أحدٌ منكم ينجيه عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة منه ورحمة». رواه البخاري في صحيحه (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦).

ولقد بَوَّبَ الإمام مسلم في صحيحه بابًا فقال: باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى. فلا يغتر أحدٌ بعمله الصالح ويظن أنه بهذا العمل سيدخل الجنة يقينًا؛ فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها كيف يشاء، فالحذر الحذر من هذا..

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأكرم الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فمن الأمور التي تُثافي التواضع أيضًا:

ثالثًا: أن يرى المرء لنفسه فضلًا على الناس، وأعلى قدرًا من غيره، برغم أن ما فيه من نعمة من الله تعالى.

لابد للمرء أن يعلم أنه مدينٌ لربه في إنعامه عليه وتفضله عليه بهذه النعم الوفيرة التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ». (النحل: ١٨).

يقول العلامة السعدي في تفسيره: («وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَدَدًا مَجْرَدًا من الشُّكر «لَا تُحْصُوهَا» فضلًا عن كونكم تشكرونها، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد، بعدد الأنفاس واللحظات من جميع أصناف النعم، مما يعرف العباد ومما لا يعرفون، وما يدفع عنهم من النقم فأكثر

من أن تُحصى «إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ» يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير، وكما أن رحمته واسعة وجوده عميم ومغفرته شاملة للعباد). من تفسير السعدي (٤٩٣).

وقال تعالى أيضًا في كتابه الكريم: «وَمَا بِكُمْ مِّن نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَزُونَ». (النحل: ٥٣).

أي ما تفضل الله به عليكم -أيها الناس- من رزقٍ ونعمةٍ وعافيةٍ ونصر فمن فضل الله وإحسانه، فكلُّ نعمةٍ نحن فيها أيها الإخوة فمن المولى عزَّ وجل صاحب الكرم علينا.

رابعًا: إعجاب المرء بنفسه: هذا أمرٌ ينافي خُلُقَ التواضع؛ فإعجاب المرء بنفسه مرضٌ عظيم يدعو إلى الكبر؛ ولذلك كان العجب من المهلكات، وكما قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ مهلكات: شحٌّ مُطاع، وهوىٌّ مُتَّبَع، وإعجاب المرء بنفسه». رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في صحيحه (١٨٠٢).

وإعجاب المرء بنفسه يطفئ محاسنه ويظهر المساوئ، والردائل، ويجعل الإنسان ملومًا مذمومًا.

فهناك من الناس من يُعجب بملابسه ويتكبر بها على الخلق، وهناك من يعجب بعلمه ويتكبر به على الناس، وهناك من يعجب بكثرة المال

والولد فيتكبر ويتعالى على الناس، وهذه النماذج كلها مرفوضة في دين الله عز وجل.

فليتواضع صاحب الملابس الفاخرة وليتواضع صاحب العلم وصاحب المال الوفير والأولاد، وليعلم أنّ ذلك كله من فضل الله العزيز القدير الذي يقدر على أخذ ما أعطى؛ فله ما أخذ وله ما أعطى، فما بنا من نعمة فمنه سبحانه وتعالى.

خامساً: عدم الخضوع للحق: إنّ عدم الخضوع للحق عين الكبر والظلم، أي ظلم الإنسان لنفسه؛ لأنّ نبينا الكريم صلى الله عليه وسلّم بيّن في حديثه الشريف أنّ الكبر هو ردّ الحق وعدم قبوله، وكذلك ازدراء الناس واحتقارهم.

فعن عبد الله بن مسعود وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر».

قال رجل: إنّ الرجل يحبّ أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة.

قال: إنّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، الكبر بطر الحقّ وعمط الناس». رواه مسلم في صحيحه (رقم ٩١).

* أيّها الإخوة الكرام: من كان قصده رضا الله، هان عليه الانقياد للحق؛ فاللهم اجعلنا ممن يقصدون رضا الله، واجعلنا من عبادك المتواضعين

لا المتكبرين وموضوع الكبر له لقاءً مستقلُّ بإذنه تعالى.

والله تعالى أسأل أن يكون ما قلته زادًا إلى حُسن المصير إليه، وعتادًا إلى يُمن القدم عليه؛ فهو بكل جميلٍ كفيلاً وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين.

اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن تولَّيت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حقَّ تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يُرضيك عنَّا يارب العالمين.

اللهم متَّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث مِنَّا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.

اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنَةً، وفي الآخرة حسنَةً، وقنا عذاب النار.

آمين آمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

الكِبَرُ وأنواعه

الجمعة: ٢١ من ذي القعدة ١٤٣٤هـ - ٢٧ من سبتمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ إِنَّه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيُّه من خلقه وحبيبه، بلِّغ الرسالة وأدِّ الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغُمَّة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت به نبيًّا عن قومه ورسولًا عن أمته.

أما بعد؛ فلقد تحدَّثنا في اللقاء السابق عن التواضع عند سلفنا الصالح من صحابة نبينا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما تحدَّثنا عن ثمرات التواضع والتي هي بركة علينا، كما تحدَّثنا عن بعض الأمور التي تنافي خُلُق التواضع.

* أيها الإخوة الكرام: من باب قول: بالضدِّ تتميز الأشياء، أتحدث مع حضراتكم اليوم عن الكِبَر وأنواعه ودرجاته حتى نكون على بينةٍ من أمر ديننا ولكي نكون حذرين من هذا الخُلُق السيئ؛ اللهم احفظنا من الكِبَر ومن المتكبرين.

* الكبر -أيُّها الإخوة الكرام- له تعريفٌ عند العلامة الراغب في مفرداته حيث يقول: «...والكبر والتكبر والاستكبار تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه؛ وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره؛ وأعظم التكبر، التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة.

والاستكبار يقال على وجهين: أحدهما أن يتحرَّى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فمحمود.

والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم وعلى هذا ما ورد في القرآن، وهو ما قال تعالى: «أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ» (البقرة: ٣٤)، وقال تعالى: «أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ» (البقرة: ٨٧)، وقال تعالى: «وَأَصْرُوا وَاَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا» (نوح: ٧). انتهى.
من مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب (صفحة ٥٣٤، ٥٣٥).

* أيُّها الإخوة الكرام: إذا كنَّا قد تحدثنا عن تواضع نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، فلا بد أن نعرف كيف حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من الكبر الذي يحول بين العبد وربِّه سبحانه وتعالى، إن الكبر مرضٌ عضال إذا تملك الإنسان ولم يسلم منه إلا قليل من الناس، والكبر -أيُّها الأعبة

الكرام- طريقٌ موصل إلى غضب المولى والعياذ بالله تعالى، وهو دليلٌ على بُعد المتكبر عن الله سبحانه وتعالى، وهو طريقٌ يجعل صاحبه يُحرم من دخول الجنة ويوصله إلى النار عيادًا به سبحانه جلَّ شأنه وعظم سلطانه؛

فلا بد من التواضع كما بينا قبل ذلك؛ لأن التواضع سمة المؤمنين الذين لامس الإيمان قلوبهم، اللهم اجعلنا -وهذا الجَمْعُ الكريم- من المتواضعين، لقد حذّر نبينا صلى الله عليه وسلم الأمة من الكبر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «العزُّ إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني، عذّبته». رواه مسلم (٢٦٢٠).

ولقد بَوَّب الإمام مسلم في صحيحه بابًا فقال: باب تحريم الكبر.

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى: «قوله صلى الله عليه وسلم (العزُّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتَه)، هكذا هو في جميع النسخ فالضمير في: (إزاره ورداؤه) يعود إلى الله تعالى للعلم به، وفيه محذوفٌ تقديره: قال الله تعالى: «ومن ينازعني ذلك أعذبه». صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء الثامن صفحة ٣٤٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: الكبرياء رداي، والعزُّ إزاري، فمن نازعني في شيءٍ منهما

عَدَّبْتَهُ». رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٠).

فالكبرياء رداء الله والعزُّ إزاره؛ فمن ينازع المولى سبحانه وتعالى فيهما يعذبه، نعوذ بالله من ذلك؛ ولقد بيّن الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه الكبائر أنّ الكبر من الكبائر، ولقد جعل الكبر الكبيرة الخامسة عشرة في كتابه، ولقد أورد رحمه الله في كتابه شواهد عديدة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم منها: قوله تعالى: «وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ». (غافر: ٢٧).

وقال تعالى أيضاً: «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ». (غافر: ٥٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ...». رواه الترمذي (٢٤٩٢) وحسنه الألباني رحمه الله.

وقال بعض السلف: أول ذنب عُصي الله به الكبر، قال الله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ». (البقرة: ٣٤).

فمن استكبر على الحق -كما فعل إبليس- لم ينفعه إيمانه.

ومن الذي أورده الذهبي في كتابه (الكبائر) قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأهل النار؟»

قالوا: بلى.

قال: كل عُتْلٍ جواظٍ مستكبر». متفق عليه البخاري (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣) من كتاب الكبائر (صفحة ٩٤، ٩٥) بتصرف.

* وأقول: إن للكبر أنواعًا ثلاثة:

- النوع الأول: الكبر على الله تعالى، وهو أقبح أنواع الكبر لأنه تكبرٌ على جَبَّارِ السماوات والأرض؛ مثل تكبرُ فرعون عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

- النوع الثاني: الكبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم: بأن يمتنع المتكبر من الانقياد له تكبرًا وعنادًا كما فعل كفار مكة الذين لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم عنادًا واستكبارًا.

- النوع الثالث: الكبر على العباد: بأن يستعظم نفسه، ويحتقر غيره وهذا أمرٌ مرفوض شرعًا.

* أيها الإخوة الكرام: لنعلم جميعًا أنَّ العلماء والعبَّاد في مرض الكبر على ثلاث درجات كما بيَّن ابن قدامة المقدسي في مختصر منهاج القاصدين:

- الأولى: أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان منهم فهو يرى نفسه خيرًا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة إلا أنه قطع أغصانها.

- الثانية: أن يُظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، والإنكار على من يقصر في حقه، فترى العالم يصعّر خده للناس كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم حين قال: «وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». (الشعراء: ٢١٥).

- الدرجة الثالثة: أن يُظهر الكبر بلسانه كالدعاوى والمفاخرة، وتزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسبٌ شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملاً.

قال ابن عباس: يقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك وليس أحدٌ أكرم من أحدٍ إلا بالتقوى.

قال الله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ». (الحجرات: ١٣).

وكذلك التكبر بالمال والجمال والقوة، وكثرة الأتباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجري بين النساء، ويدعوهن إلى التنقص والغيبة وذكر

العيوب، وأما التكبرُ بالأتباع والأنتصار، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين.

* أيها الإخوة الكرام: إنَّ الكبر آفةٌ خطيرةٌ ينبغي أن نحذر منها، فإن رزقنا الله الجمال فلا يحملنا على أن نتكبر على الناس، وإن رزقنا الله المال الوفير فلا يحملنا هذا المال على التكبر وغمط الناس؛ الدنيا زائلةٌ أيها الكرام، فلماذا يتكبر من يتكبر على الناس؟!.

لقد قال رسولنا الكريم حديثاً مؤثراً يبين لنا قيمة هذه الدنيا.

«ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبغه في اليمِّ فليُنظر بماذا يرجع». رواه مسلم (٢٨٥٨) والترمذي (٢٣٢٣).

فالدنيا كما نرى لا قيمة لها، فعلام التمسك بها والتكالب عليها؟!

ألا فلنجعل الدنيا في أيدينا لا قلوبنا ولا نتكبر أو نتعالى على الناس، ولنتذكر دومًا أنَّ نبينا الكريم كان سيّد المتواضعين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأكرم الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إِنَّ الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها إلا ذكرَ الله تعالى وما والاه، وعالمًا أو متعلِّمًا». رواه الترمذي (٢٣٢٢) وابن ماجه (٤١٢٢) وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٩٧).

* أيها الإخوة الكرام: حسبكم أيها الإخوة أن تعلموا أن فقراء المؤمنين سيدخلون الجنة قبل أغنياء المؤمنين بخمسمائة عام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، نصف يوم». رواه الترمذي (٢٣٥٣) وابن ماجه (٤١٢٢) وصحَّحه الألباني رحمه الله.

فإذا كنت أيها الأخ الكريم من أسرةٍ نسبها عريق فلا تتفاخر على من حولك بهذا النسب؛ لأنَّ النسب الحقيقي هو التقوى والعمل الصالح؛ ولأنَّ الأنساب تنقطع يوم القيامة فلا ينفعك إلا عملك الصالح.

قال الله رب العالمين في كتابه الكريم: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ». (المؤمنون: ١٠١).

وقال صلى الله عليه وسلم:

«...ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه». رواه مسلم (٢٦٩٩) وهو من حديث أبي هريرة.

فاحرص أيها الأخ الكريم على سلامة قلبك من داء الكبر ومن سائر الآفات التي تُمرض القلب وتُبعده عن المولى سبحانه وتعالى، وانشغل بإصلاح نفسك ونجاتها من عذاب الله؛ فإنه لا ينفَعك غداً بين يدي المولى عز وجل إلا عملك الصالح، ولنعلم جميعاً أنّ أشد الناس تعرُّضاً لآفة الكبر هم طلبة العلم والعلماء، فاحذروا أن يتطرق إليكم الكبر إذا رزقكم الله شيئاً من الفقه في دين الله؛ فلقد بيّن رسولنا الكريم في حديثه الصحيح أنّ من يتعلم العلم ليباهي العلماء به أو يجادل السفهاء أدخله الله جهنم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعلّم العلم ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم». رواه ابن ماجه (٢٦٠) وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٨) وهو من حديث أبي هريرة.

ولنعلم جميعاً أنّ مقادير العباد عند الناس تختلف عن مقاديرهم عند

رَبِّ العالمين، فقد يكون العبد عزيزًا في أعين الناس وهو عند الله في أخبث المنازل، وقد يكون العبد عند الناس منزلته وضيعته وهو عند الله في المنازل العُليا.

وأبَيَّن لحضراتكم هذا الأمر من خلال هذا الموقف العجيب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن سهلٍ قال: «مَرَّ رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما تقولون في هذا؟»

قالوا: حَرِيٌّ إِنْ خُطِبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ. قال: ثم سكت، فمَرَّ رجلٌ من فقراء المسلمين فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حَرِيٌّ إِنْ خُطِبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَلَا يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا خيرٌ من ملءِ الأرض مثل هذا». رواه البخاري في صحيحه (٥٠٩١).

قال الحافظ في الفتح: «قوله: (هذا) أي الفقير (خيرٌ من ملءِ الأرض مثل هذا) أي الغني». فتح الباري بشرح صحيح البخاري (الجزء التاسع صفحة ١٥٤).

أيها الإخوة الكرام: احذروا الكبر فإنه داءٌ والله عضال، وأسأل المولى عز وجل أن يوفقنا لخلق التواضع وأن يقينا من الكبر والخيلاء والغرور، اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن

توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت؛ اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجملة همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنَّا يارب العالمين؛ اللهم متَّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار؛ آمين آمين.. وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

* الْحَجُّ وَثَوَابُهُ الْعَظِيمُ *

الجمعة: ٢٨ من ذي القعدة ١٤٣٤هـ - ٤ من أكتوبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصِفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَحَبِيبِهِ؛ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَكَشَفَ اللَّهُ بِهِ الْغُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ دِينِهِ حَتَّى آتَاهُ الْيَقِينَ، فَاللَّهُمَّ اجْزِهِ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَيْتَ بِهِ نَبِيًّا عَنْ قَوْمِهِ وَرَسُولًا عَنْ أُمَّتِهِ.

أما بعد؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حَظَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا» فقال رجل: أكلُّ عامٍ يا رسول الله؟.

فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم».

ثم قال: «ذروني ما تركتكم؛ فإنَّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم

واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيءٍ ، فأتوا منه ما استطعتم وإن نهيتكم عن شيءٍ فدعوه». رواه مسلم (١٣٣٧) باب فرض الحج مرة في العمر.

* أيُّها الإخوة الكرام: هذا هو حبيبنا الكريم صلى الله عليه وسلم يقف بين أصحابه الفضلاء؛ ليلقي عليهم بيانا رباتيا عظيما من عند مولاه عز وجل؛ أو لعلَّه جاءهم بتفسيرٍ لهذا البيان الرباني الذي جاء به الوحي: «وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». (آل عمران: ٩٧).

فلما جمع أصحابه؛ ليلقي عليهم هذا البيان خطبهم، وكان إذا خطبهم فإنما كان يخطب إليهم بكلماتٍ موجزةٍ لكنها في غاية الفصاحة والبلاغة والبيان، لقد بدأ نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم خطبته بقوله: «أيُّها الناس» فلم يُقل لهم: أيُّها الأصحاب، أو أيُّها المؤمنون، ولكنه نادى عليهم بنداءٍ يصلح لكل زمانٍ ومكان.. نادى عليهم بنداءٍ يخاطب به من أسلم ظاهره لله، ومن وقرَّ الإيمان في قلبه، نادى عليهم نداءً عامًا.

وكان هذا النداء يتضمَّن الحثَّ على الركن الخامس من أركان الإسلام، فلما قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك، وقرأ عليهم هذا البيان الرباني، قام رجل من الأعراب وهو «الأقرع بن حابس التميمي» ومعروف أن الأعراب قساة القلوب، غلاظ الطباع، فقال للنبي صلى الله

عليه وسلم: «أفي كل عامٍ يا رسول الله؟» وبسؤاله هذا فتح لنا بابًا من أبواب العلم، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم سكت حتى كرّر السؤال ثلاثًا، ثم قال له: لو قلت: نعم لَوَجبت -أي لَوَجب عليكم الحج كل عام- ولو وجبَ هذا في كل عامٍ فلن تستطيعوا ذلك وفي هذا الموقف تكونون قد عصيتم ربكم، ثم أرشدكم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، تلك الرحمة المهداة؛ إلى ما يجب أن يكون منهم تجاه أوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيته، وهذا درسٌ عظيم النفع لهم: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيءٍ فدعوه».

لأنَّ الله عزَّ وجل لا ينسى شيئًا ولو كان فرضًا في كل عامٍ لبيَّنه المولى عز وجل في كتابه الكريم أو بيَّنته السُنَّة المطهَّرة.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا». (مريم: ٦٤).

** والحجُّ أيها الإخوة الكرام قد فُرض بالكتاب والسُنَّة؛ ففي الكتاب العزيز قال الله تعالى فيه: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ». (آل عمران: ٩٧).

** وقد دلَّت السُنَّة المطهَّرة على فرضيته من خلال الحديث النبوي

الشريف الذي نحن بصدده، وأيضًا ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بُنِيَ الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وحجُّ البيت وصومُ رمضان». رواه البخاري في صحيحه (٨) ومسلم (١٦).

والاستطاعة هي القُدرة الصحية والمادية على أدائه، وتوفُّر الأمن في الذهاب والإياب، وعدم وجود الموانع التي تحول بينه وبين تحقيق ذلك، وهو من أفضل العبادات لاشتماله على بذل المال والنفوس. **أيها الإخوة الكرام: إن للحج ثوابًا عظيمًا عند المولى سبحانه وتعالى، ومن ثوابه: أنَّه من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه سبحانه وتعالى، فلقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سُئل: «أيُّ العمل أفضل؟

قال: إيمانٌ بالله ورسوله.

قيل: ثم ماذا؟

قال: الجهاد في سبيل الله.

قيل: ثم ماذا؟

قال: حجٌّ مبرور». رواه البخاري في صحيحه (٢٦) ومسلم (٨٣) والترمذي

والحجُّ جهادٌ عظيمٌ غير أنه لا شوكة فيه ولا قتال، فقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الجهاد، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أدلُّك على جهادٍ لا شوكة فيه؟ حج البيت». رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦١١).

فما أعظم الإسلام! وما أعظم رسول الإسلام! بل ما أعظم وما أرحم تعاليم الإسلام! إنها تعاليم الإسلام السمحة، فرسالة الإسلام كلها يُسر؛ لأنَّ الإسلام لم يحرم الإنسان الضعيف من الجهاد في سبيل الله، فقد جعل جهاده هو الحج، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحجُّ جهادٌ كل ضعيفٍ». رواه ابن ماجه (٢٩٠٢) وذكره الألباني في صحيح الجامع (٣١٧١) وقال حسن.

بل وجعله في حقه أفضل الجهاد، ففي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لا، لكنَّ أفضل الجهاد: حجٌّ مبرور». رواه البخاري في صحيحه (١٥٢٠).

وقال: «جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة: الحجُّ والعُمره» رواه النسائي في سننه (٢٦٢٦) وهو حسن.

إنه لم يحرم الضعفاء من النساء، فيألفها من رحمة! ومن عظم هذا العمل أنه يأخذ بيد صاحبه إلى الجنة، يأخذ به إلى النجاح يوم القيامة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «...والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة». رواه مسلم (١٣٤٩).

ومن عظم ثواب الحج الذي يشواق المؤمن لأدائه أنه يغسل العبد من ذنوبه كلها بشرط أن لا يفسق أو يفجر، قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرُفْثَ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». رواه البخاري في صحيحه (١٨١٩) ومسلم (١٣٥٠).

ولقد كرم الله الحجاج والعُمَّار فلقد جعلهم وفده، قال صلى الله عليه وسلم: «وفد الله ثلاثة: الغازي والحاج والمُعتمر». رواه النسائي (٢٦٢٥) وهو حديثٌ صحيح من حديث أبي هريرة.

هذه منافع أخروية في الحج، وأقول لحضراتكم: إنَّ للحج منافع دنيوية مع المنافع الأخروية؛ يَبْنِيهَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ». (الحج: ٢٧، ٢٨).

إنها منافع الدنيا والآخرة، وقوله تعالى (منافع) جمع منفعة، ولم يبيِّن

هنا هذه المنافع ما هي؟.

وقد جاء بيان بعضها في بعض الآيات القرآنية، وأنَّ منها ما هو دنيوي وما هو أخروي؛ أما الدنيوي فكأرباح التجارة إذا خرج الحاج بمال تجارةٍ معه، فإنه يحصل له الربح غالبًا، وذلك نفعٌ دنيوي.

ولقد أطبق علماء التفسير على أن معنى قوله تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ» (البقرة: ١٩٨)، أنه ليس على الحاجِّ إثمٌ ولا حرج إذا ابتغى ربحًا بتجارةٍ في أيام الحجِّ؛ إن كان ذلك لا يشغله عن شيءٍ من أداء مناسكه، وعن بعض منافع الحج الدنيوية نتحدث بعد جلسة الاستراحة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فمن منافع الحج في الدنيا:

- أولاً: التعارف بين المسلمين الوافدين من بلادهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم يأتون من كل فج عميق، ومن بلاد مختلفة؛ الكل يجتمع في مكان واحد.

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا». (الحجرات: ١٣).

وعن طريق التعارف يتم التآلف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأرواح جنودٌ مجنّدة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف». متفق عليه.

فعلى الوافدين من كل بقاع الأرض إلى الحج أن يتعارفوا، ويسلموا على بعضهم حتى يحصل التحابب بينهم.

- ثانيًا: الوحدة الإسلامية: فالحجُّ ييسر اجتماع المسلمين من أقطار الدنيا في أوقاتٍ معينة في أماكن معينة ليشعروا بالوحدة الإسلامية؛ ولتتمكن الاستفادة بعضهم من بعض فيما يهم الجميع من أمور الدين والدنيا، وبدون فريضة الحج لا يمكن أن يتسنى لهم ذلك.

- ثالثًا: إغاثة الفقراء: وذلك بإطعامهم من الذبائح، فلقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: «فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ». (الحج: ٢٨). وهذه اللحوم تصل إلى كثيرٍ من فقراء العالم الإسلامي، ولا تقتصر على فقراء مكة.

- رابعًا: الاستفادة من التجارة:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ». (البقرة: ١٩٨).

يقول الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «وقال عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: لا حرج عليكم في الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده». تفسير القرآن العظيم (الجزء الأول صفحة ٢٨٣).

فالحج له منافع في الدنيا عديدة، فيالعظمة فرائض الإسلام التي فرضها الله علينا!.. ففيها الخير كل الخير.

وقبل أن أختتم أقول لحضراتكم -ونحن على أعتاب شهر ذي الحجة- أنّ العَشر الأوّل من ذي الحجة لها فضلٌ عظيم ينبغي على كل مسلمٍ أن يغتتمها؛ فلقد روى الإمام البخاري في صحيحه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه.

قالوا: ولا الجهاد؟!

قال: ولا الجهاد، إلا رجلٌ خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء». رواه البخاري في صحيحه (٩٦٩) من حديث ابن عباس.

وصيام العشر من ذي الحجة من الأعمال الصالحة ولاشك، فيكون الصيام داخلًا في عموم هذا الحديث، فلنغتتم هذه الفرصة الثمينة ونُقبل على الله تعالى بقلوبٍ خاشعة، نذكره سبحانه وتعالى ونُكثّر من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والإكثار من الصلوات النافلة؛ عسى الله سبحانه وتعالى أن يتغمّدنا بفضله وكرمه ورحمته.

والله تعالى أسأل أن يكون ما قلته لحضراتكم زادًا إلى حُسن المصير إليه وعتادًا إلى يُمن القدوم عليه فهو بكل جميلٍ كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل، اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرّ ما قضيت.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، اللهم

ذُكِّرْنَا مِنْهُ مَا نَسِينَا، اللَّهُمَّ ارزُقْنَا تِلَاوَتَهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ عَلَى
النَّحْوِ الَّذِي يَرْضِيكَ عِنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ مَتَعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا
وَقَوَّاتِنَا مَا أَحْيَيْتِنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَلَا
تَسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا.. وَلَا تَجْعَلْ مَصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا،
رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

* من أسرار الحج *

الجمعة: ٦ من ذي الحجة ١٤٣٤هـ - ١١ من أكتوبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ ففي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرءونها ولو علينا -معشر اليهود- نزلت لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً.

فقال: أيُّ آية؟

قال: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا».

وقال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة». البخاري في صحيحه (٤٥) ومسلم (٣٠١٧).

أيها الإخوة الكرام: إنَّ يوم عرفة من أعظم أيام الله تعالى في الدنيا، وله فضائل عديدة منها أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة، بنزول قول ربنا عزَّ وجل: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» (المائدة: ٣).

قال ابن كثير: «هذه أكبر نعم الله على هذه الأمة». تفسير القرآن العظيم (الجزء الثالث صفحة ١٦).

** وأقول لحضراتكم: إنَّ إكمال الدين قد حدث من وجوهٍ في ذلك اليوم:

- أحدها: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَادَ الْحَجَّ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَفَى الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ، فَلَمْ يَخْتَلَطْ بِالْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

- الثاني: أَنَّهُ حَصَلَ بِالْمَغْفِرَةِ؛ لِأَنَّ النِّعْمَةَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا». (الفتح: ٢).

- الثالث: أَنَّ صِيَامَهُ يَكْفُرُ سِنْتَيْنِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ كَفَّارَةُ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، وَالسَّنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ». رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَصَحَّحَهُ الْأَبْيَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٣٨٠٥).

وَعَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ سِنْتَيْنِ: سَنَةٌ أَمَامَهُ، وَسَنَةٌ بَعْدَهُ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ (١٧٣١) وَهُوَ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ بِرَقْمِ (٦٣٣٥).

- الرابع: أَنَّهُ يَوْمَ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، وَالْمَبَاهَةِ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لِيَدْنُو، ثُمَّ يَبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٤٨).

وهذا يوم فرحٍ للمؤمنين يفرحون بغفران الله لهم.

قال بعض العارفين كما جاء في لطائف المعارف:

«ما فرح أحدٌ بغير الله إلا بغفلته عن الله؛ فالغافل يفرح بلهوه وهواه،
والعاقل يفرح بمولاه». لطائف المعارف لابن رجب (صفحة ٣٧٢).

* أيها الإخوة الكرام: إن كنتم تطمعون في العتق من النار يوم لقاء
الله سبحانه وتعالى، ومغفرة الذنوب منه سبحانه في يوم عرفة فعليكم
بالتَّخاذ الأسباب الموصلة لذلك؛ من هذه الأسباب:

- أولاً: صيام ذلك اليوم الطيّب المبارك: يُستحب صيام ذلك اليوم
لغير الحاج لما رواه مسلم عن أبي قتادة قال: قال النبي صلى الله عليه
وسلم: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله
والسنة التي بعده، وصيام عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي
قبله». رواه مسلم (١١٦٢).

أما بالنسبة لمن يقف بعرفات حاجًّا فيُستحب له الفطر اقتداءً برسول
الله صلى الله عليه وسلم.

فعن أم الفضل بنت الحارث رضي الله عنها: «أَنَّ نَاسًا تَمَارَوْا عِنْدَهَا يَوْمَ
عُرْفَةَ فِي صَوْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ صَائِمٌ،

وقال بعضهم: ليس بصائمٍ، فأرسلت إليه بقدح لبنٍ، وهو واقف على بعيره، فشربه». رواه البخاري (١٦٦١) ومسلم (١١٢٣) وأبو داود (٢٤٤١).

- ثانيًا: أن يُكثر المسلم من شهادة التوحيد بإخلاصٍ وصدق

لأنها أصل دين الإسلام الذي أكمله الله تعالى في هذا اليوم العظيم.

فعن عبد الله بن عمرو قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمد وهو على كل شيء قدير». رواه الترمذي (٣٥٨٥) وهو حسن.

- ثالثًا: الإكثار من الدعاء بالمغفرة والعِتق من النار:

نسأل الله تعالى لنا ولكم ذلك فلنكثر من الدعاء بأن يغفر الله لنا وأن يُعتق رقابنا من النار.

* وعن أحوال الصادقين في الموقف بعرفة كانت أحوالهم تتنوّع، فمنهم من كان يغلب عليه الخوف أو الحياء.

قال ابن رجب في لطائف المعارف «وقف مطرّف بن عبد الله بن الخشير، وبكر المزني بعرفة فقال أحدهما: اللهم لا ترد أهل الموقف من أجلي، وقال الآخر: ما أشرفه من موقفٍ وأرجاه لأهله، لولا أي فيهم.

وقف الفضيل بعرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة،

قد حال البكاء بينه وبين الدعاء، فلما كادت الشمس أن تغرب رفع رأسه إلى السماء، وقال: واسواتاه منك وإن عفوت». لطائف المعارف صفحة (٣٨٧).

- دعا بعض العارفين بعرفة فقال: اللهم إن كنت لم تقبل حجِّي وتعبي ونصبي؛ فلا تحرمني أجر المصيبة على تركك القبول مني.

- وقف بعض الخائفين بعرفة إلى أن قرُب غروب الشمس، فنادى: الأمان الأمان، قد دنا الانصراف، فليت شعري ما صنعت في حاجة المساكين!». لطائف المعارف (٣٨٧).

* أيها الإخوة الكرام: ونحن بصدد الحديث عن يوم عرفة وفضائله وعن الحج، نتحدث عن مناسك الحج وأسرارها العظيمة رزقنا الله وإياكم حج بيته الحرام وزيارة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة الكرام: إنَّ مناسك الحج كثيرةٌ ومتعددة منها:

أولاً: الإحرام: وهو أن يلبس الحاج قطعتين من القماش، إحداهما تستر النصف الأعلى، وتُسمَّى بالرداء، والأخرى تستر النصف الأسفل، وتسمى بالإزار، وذلك بعد أن يخلع الثياب التي عليه وهي المخيطة، ويتذكَّر حين يخلع تلك الثياب ويستبدلها بملابس الإحرام، يتذكر الكفن لأنَّ ثياب الإحرام تشبهه، فالإحرام تلخيص للحياة التي نحيها؛ فحينما نُولد نُولد

بدون ثياب فنُلْفُ في قطعةٍ من القماش، وحينما نموت ونفارق الحياة يقوم المغسَّل بتغسيلنا ثم نلبس الكفن؛ ومع ملابس الإحرام لا فرق بين غنيٍّ وفقير، قويٍّ وضعيف، الكل سواءٌ أمام ربِّ العالمين عزَّ وجلَّ. ثانياً: الطواف بالكعبة: فإذا رأيت -أيُّها الأخ الكريم- البيت الحرام، فاستحضر عظمتَه في قلبك واشكر الله تعالى أن جعلك من الوافدين إليه، وقد أمرك ربُّ العالمين بالطواف حوله؛ فلقد قال ربُّ العالمين سبحانه: «وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ». (الحج: ٢٩).

وتذكَّر أنَّ الذي رفع قواعده هو إبراهيم عليه السلام مع ولده إسماعيل، والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا نطوف بالبيت الحرام؟

نحن نطوف بالبيت الحرام لأنه رمزٌ لتوحيد المسلمين؛ فإليه يتوجَّهون في صلواتهم في مشارق الأرض ومغاربها، في كل مكانٍ قبلتهم واحدة وربُّهم واحد، ودينهم واحد، ونبيُّهم واحد فلا بد من استشعار ذلك كله.

أيُّها الإخوة الكرام: إنها معاني الإيمان السامية نكملها بإذن الله تعالى بعد جلسة الاستراحة.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فأسرار الحجِّ عظمةٌ كما رأينا؛ من إحرامٍ لطوافٍ بالكعبة، وهي تقربُّ العبد من ربه عزَّ وجلَّ، أيُّها الإخوة الكرام: من أسرار الحجِّ أيضًا: ثالثًا: استلام الحجر الأسود: إِنَّكَ تُقَبَّلُ الحجرَ لِي تَسَجَّلَ اسْمُكَ فِي سِجِّ النَّورِ؛ لِأَنَّ هَذَا الحجرَ سَيَكُونُ شَاهِدًا لِكُلِّ مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ، أَخْبَرْنَا بِهَذَا الصَّادِقِ المصدوقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: «لِيَأْتِيَنَّ هَذَا الحجرَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يَبْصُرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى كُلِّ مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ». رواه ابن ماجة في سننه (٢٩٤٤) وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٤٦) وهو من حديث ابن عباس.

وفي رواية: «وَاللَّهُ لَيَبْعَثُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يَبْصُرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ». رواه الترمذي (٩٦١) وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٩٨).

إنها معاني الإيمان التي تير القلوب.

رابعًا: السعي بين الصفا والمروة: لماذا نسعى بين الصفا والمروة؟ إذا كانت هاجر أم إسماعيل عليه السلام تسعى طلبًا للماء من أجل وليدها الذي يحتاج إلى الماء، فلماذا نسعى نحن؟..

كأنَّ الإسلام يريد أن يوجِّه أتباعه إلى أنَّ الحياة سعيٌّ وكفاح وراء لقمة العيش، فلو لم تسع هاجر لما نبعت عين الماء، ولو لم تهز مريم جذع النخلة لما تساقط عليها الرطب.

قال تعالى: «وَهَزِّيْ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا». (مريم: ٢٥).

ولله درُّ القائل:

ألم تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمَ* وَهَزِّيْ إِلَيْكِ الْجِذْعَ يَسَاقِطِ الرُّطَبَ
ولو شاءَ أدنىَ الجِذْعِ من غيرِ هَزِّهِ* إليها ولكن كلَّ شيءٍ له سبب
ولهذا المعنى العظيم وجهنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وقال
صلى الله عليه وسلم: «ما أكل أحدٌ طعامًا قط خَيْرٌ من أن يأكل من عمل
يده، وإنَّ نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده». رواه أحمد في المسند
(١٧١٢٤) وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٤٦).

خامسًا: الوقوف بعرفة: وهو من أهم أركان الحج؛ لقول نبينا صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة». رواه ابن ماجة (٣٠١٥) وهو صحيح وهو من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي.

تذكّر أيها الأخ الكريم في هذا الموقف الرؤوس العارية، والأصوات المرتفعة والازدحام الشديد.. تذكّر موقف الحشر، تذكّر يوم الجمع الذي لا ريب فيه، تذكّر يوم يقوم الناس لرب العالمين؛ ولقد تحدّثنا في بداية كلامنا عن فضل يوم عرفة، هذا اليوم الذي من أعظم أيام الله تعالى في الدنيا.

سادسًا: الشرب من ماء زمزم: وقد ورد أنّ ماء زمزم لما شرب له، فإن شربته بنية الشفاء شفاك الله، وإن شربته بنية العلم علّمك الله تعالى. وماء زمزم صافٍ راقٍ فكأن المشرّع العظيم يقول لنا: إنّ دين الإسلام هو دين الحياة الصافية، دين الحياة النقية التي لا تشوبها كدرة.

وتذكّروا أيها الإخوة الكرام وأتمم تشربون من زمزم -وعدنا الله وإياكم الشرب منه في مواسم الحج والعمرة- تذكّروا الشرب من حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وعدنا الله وإياكم الشرب منه.

جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم المساء، من

شرب منها فلا يظماً بعدها أبداً». رواه البخاري في صحيحه (٦٥٧٩) وهو من حديث عبد الله بن عمرو.

سابعاً: التلبية: التلبية من مناسك الحج ومعناها أن تقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، والحكمة في التلبية أنَّ الإنسان إذا ناداه إنسانٌ قدره جليل أجابه بالتلبية فكيف بمن ناداه مولاه ودعاه إلى جنبه؟.

أيها الإخوة الكرام: إنها معاني الإيمان العظيم؛ ألا فلنقبل على الله تعالى، رزقنا الله وإياكم حجَّ بيته الحرام، والله تعالى أسأل أن يوفِّقنا لهذه المعاني الإيمانية، فهو ولي ذلك والقادر عليه، اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار.. آمين آمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلم.

عاقبة المتكبرين

الجمعة: ١٣ من ذي الحجة ١٤٣٤هـ - ١٨ من أكتوبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسَنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل
عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»
(الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فلقد قال رب العالمين في كتابه الكريم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ». (الحجرات: ١١).

ينادي الله المؤمنين منبها إياهم بألا يسخر قوم من قوم، وألا يلمزوا أنفسهم ولا يتنازوا بالألقاب، وهذا من حق المؤمن على أخيه المؤمن ألا يؤذيه؛ يقول العلامة السعدي عند تفسيره لهذه الآية: «وهذا أيضا من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض، أن «لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ» بكل كلام وقول وفعلٍ دالٍّ على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام لا يجوز، وهو دالٌّ على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيرا من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية لا تقع إلا من قلبٍ ممتلئٍ من مساوئ الأخلاق، مُتَحَلٍّ بكل خلقٍ ذميم». من تفسير تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي (صفحة ٩٢٣).

أيها الإخوة الكرام: لقد كان نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم حريصا على إرشاد الأمة إلى ما يصلح أمرها فحذرنا من تحقير الآخرين، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «بحسب امرئٍ من الشرِّ أن يحقر أخاه

المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه». رواه مسلم في صحيحه (٢٥٦٤) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال أيضاً صلوات ربي وسلامه عليه: «من أحبَّ أن يمثَّلَ له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار». رواه الترمذي (٢٧٥٥) وأبو داود (٥٢٢٩) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٥٧) وهو من حديث معاوية ولفظ الترمذي في سننه: «من سرَّه أن يتمثل له الرجال قياماً...».

الشاهد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك من أجل تنقية القلوب من الأحقاد والضغائن، ومن أجل نشر روح المحبة والإخاء والتآلف بين المسلمين.

* أيها الإخوة الكرام: إنَّ الكبر صفةٌ ذميمة، ولقد نفى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الخيلاء عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جرَّ ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

فقال أبو بكر: إنَّ أحدَ شِقِّي ثوبي يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه.

فقال رسول الله: «إنك لست تصنع ذلك خيلاء». رواه البخاري في صحيحه (رقم ٣٦٦٥).

فلنحذر أيها الإخوة من الكبر لأنه داء عضال.. لماذا يتكبر إنسان على آخر؟ فليتذكر الإنسان أنه ضعيفٌ أمام قدرة المولى سبحانه وتعالى، فليتذكر الإنسان أنه مقبل عليه سبحانه ليجازيه.

يقول الإمام ابن القيم في فوائده: «أركان الكفر أربعة: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة؛ فالكبر: يمنع الانقياد، والحسد: يمنع قبول النصيحة وبذلها، والغضب: يمنع العدل، والشهوة: تمنعه التفرغ للعبادة. فإذا انهدم ركن الكبر، سهل عليه الانقياد، وإذا انهدم ركن الحسد، سهل عليه قبول النصح وبذله، وإذا انهدم ركن الغضب، سهل عليه العدل والتواضع، وإذا انهدم ركن الشهوة سهل عليه الصبر والعفاف والعبادة». الفوائد لابن القيم (صفحة ١٧١).

ما أجملها من كلمات!

أولى بنا أن نطبّقها تطبيقاً عملياً في حياتنا، إنَّ مفتاح دار السعادة التواضع لله واليقظة؛ فإذا غفل الإنسان عن الله فتح لنفسه باباً لدار الشقاء والهوان والعياذ بالله، الكبر أيها الإخوة آفةٌ عظيمة وفيها يهلك خواص الناس من العلماء والعباد والرُهَّاد؛ فضلاً عن عوام الناس؛ فاللهم قنا الكبر والمتكبرين.

* أيها الإخوة الفضلاء: إنَّ عاقبة الكبر سيئةٌ في الدنيا والآخرة.

أما عن عاقبة المتكبر في الدنيا والآخرة:

أولاً: لا يحبُّ الله المختالين المستكبرين:

يا له من أمر لا يتحمّله إنسان! هل تتصور أخي الكريم إنساناً يعيش في الدنيا ولا يحبُّه المولى سبحانه وتعالى، يُنزل عليه سخطه فضلاً عن عقاب الآخرة؟!.

يقول الله رب العالمين في كتابه الكريم: «وَلَا تُصَعِّرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ». (لقمان: ١٨).

وقال تعالى أيضاً في كتابه الكريم: «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ». (النحل: ٢٣).

الأسلوب مؤكد يانٌّ، فهو تأكيد على عدم حب الله لهؤلاء.

يقول في تفسير الجلالين عند قوله تعالى «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ» (بمعنى أنه يعاقبهم). من تفسير الجلالين (صفحة ٢٦٩).

فاللهم لا تجعلنا من هؤلاء، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه؛ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا، دَعَا جَبْرِيْلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأَحَبَّهُ. قَالَ: فَيَحِبُّهُ جَبْرِيْلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فَلَانًا».

فأحبوه. فيحبه أهل السماء، قال: ثم يُوضَع له القبول في الأرض؛ وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: **إِنِّي أَبْغَضُ فَلَانًا فَأَبْغَضَهُ**. قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: **إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغَضُوهُ**. قال: فيبغضوه، ثم تُوضَع له البغضاء في الأرض». رواه البخاري في صحيحه (٧٤٨٥) ورواه مسلم في صحيحه (٢٦٣٧).

إِنَّ المتكبر أيها الإخوة يُحرم من حب الله له عياداً بالله من ذلك، فلنحرص على خُلُق التواضع حتى لا نتعرَّض لعقاب الله الذي لا يتحملة إنسان، ونسأل الله العلي القدير لنا ولكم العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

ثانياً: الله سبحانه وتعالى يطبع على قلبه:

قال الله رب العالمين في كتابه الكريم: **«الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ»**. (غافر: ٣٥).

يقول صاحب صفوة التفاسير عند قوله تعالى **«يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ»**: «يختم بالضلال على قلب كل متكبر عن الإيمان، متجبر على العباد، حتى لا يعقل الرشاد، ولا يقبل الحق، وإنما وصف القلب بالتكبر والجبروت لكونه مركزهما ومنبعهما، وهو سلطان الأعضاء، فمتى

فسد فسدت». صفوة التفاسير (الجزء الثالث صفحة ١٠٢).

ولقد بيّن المولى سبحانه وتعالى السبب الذي جعله يطبع على قلوبهم وهو أنّ المتكبرين قد امتلأت صدورهم كبراً.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِعَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ». (غافر: ٥٦).

ثالثاً: الكبر -والعياذُ بالله- من صفات أهل النار:

نعوذ بالله من الخسران ورزقنا جنته دار المقامة والرضوان.

جاء في صحيح البخاري ومسلم أنّ نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟

قالوا: بلى.

قال صلى الله عليه وسلم: كلُّ ضعيفٍ متضعّفٍ لو أقسم على الله لأبره» ثم قال: «ألا أخبركم بأهل النار؟

قالوا: بلى.

قال: كلُّ عُتْلٍ جَوَّازٍ مستكبر». رواه البخاري في صحيحه (٤٩١٨) ورواه مسلم في صحيحه (٢٨٥٣) وهو من حديث حارثة بن وهب.

والضعيف المتضعف: ما يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا، وقد يكون الضعف هنا أيها الإخوة رقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان كما أورد الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم عن القاضي. صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء التاسع صفحة ١٦١).

أما العُتْلُ فهو الجافي الشديد الخصومة بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ؛ أما الجواظ فهو المختال في مشيئه، وقيل غير ذلك.

اللهم إنا نسألك خُلُقًا طيبًا ونعوذ بك من التكبر والمتكبرين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وعلى خاتمهم
المجتبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.
أما بعد؛ فمن عواقب المتكبر:

رابعًا: المتكبر لا يؤمن بالآخرة ولا يستعد لها:

ف نجد أنّ الواحد منهم لا يؤمن بالبعث أو الحساب، بل إنه ينكر عذاب
القبر ونعيمه، وينكر الجنة والنار فنجد قلبه مظلمًا وكل ذلك بسبب
الكبر.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ». (النحل: ٢٢، ٢٣).

فهم مستكبرون عن عبادته؛ ولذلك لا يحبهم الله عز وجل بل يبغضهم
أشدّ البغض وسيجازيهم من جنس عملهم.

خامسًا: ضرب الملائكة لهم؛ أي المستكبرين عن الموت وسكراته:

فلنتأمل أيها الإخوة الكرام حال المستكبرين عند الموت وسكراته.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ». (الأنعام: ٩٣).

فالملائكة تضرب هؤلاء حتى تُخرج أنفسهم من أجسادهم؛ لأنَّ الكافر عند الموت تبشّره الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والحميم، وغضب جبار السماوات والأرض؛ فتعصي روحه وتتفرق في جسده وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: «أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ». فهم اليوم في غاية الذل والإهانة بما كانوا يقولون على الله غير الحق وكانوا مستكبرين عن اتباع آياته والانقياد لرسوله الكرام.

سادساً: لا تُفتح السماء لهم:

قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ».

فهم كذبوا بآيات الله تعالى مع وضوحها، واستكبروا عن الإيمان بها والعمل بمقتضاها، فلا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط

أي في ثقب الإبرة، وهذا تمثيلٌ لاستحالة دخول الكافر الجنة كاستحالة دخول الجمل على ضخامته في ثقب الإبرة على دقته.

سابعًا: المتكبر يلقى المولى عزَّ وجل وهو عليه غضبان:

قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «من تعظَّم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان». رواه أحمد (٥٩٥٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٧).

بل إنَّ المولى عز وجل ينادي على المتكبرين تبيكًا لهم في أرض المحشر، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يطوي الله عزَّ وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهنَّ بيده اليمنى ثم يقول: أنا المَلِكُ؛ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك؛ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟». رواه البخاري في صحيحه (٧٤١٢) ومسلم (٢٧٨٨).

ثامنًا: المتكبر أبعد الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة: ويالها من حسرةٍ على كل متكبرٍ أن يكون أبعد الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة!.. نعوذ بالله من ذلك.

فعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم منِّي مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، إنَّ أبغضكم إليَّ

وأبعدكم مئى مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون». قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». رواه الترمذي في سنته (٢٠١٨) وهو صحيح انفرد به الترمذي. تاسعاً: يُحرم المتكبر من دخول الجنة: قال تعالى في كتابه الكريم: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

فالذين يريدون عُلُوًّا في الأرض وفسادًا عاقبتهم وخيمة.

فها هو قارون؛ عابد المال الذي كان يزهو بماله وبنفسه ويتعالى على العباد بما آتاه الله من النعم الكثيرة، تأمل معي نهايته الأليمة لما خرج متبخترًا مختالًا يتباهى على الناس ويتكبر عليهم.

قال تعالى: «فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ أَنَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَحَسَفَ بِنَا وَيَكَانَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ». (القصص: ٨١، ٨٢).

نعوذ بالله من هذه النهاية الأليمة.

والله تعالى أسأل أن يطهر قلوبنا من الكبر، وأن يرزقنا نعمة التواضع؛ وأوصي نفسي وإياكم أن نخفض الجناح للمؤمنين، وأن نعامل أقرباءنا

وجيراننا والناس جميعًا بلطفٍ ولينٍ وتواضعٍ؛ لأنَّ هذا من شأنه أن ينشر الحب بين الناس، أسأل المولى العلي القدير أن يوفقنا دومًا إلى هذه المعاني الروحانية الطيبة فهو وليُّ ذلك والقادر عليه؛ اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنَّا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حقَّ تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنَّا يارب العالمين، ربنا آتِنَا في الدنيا حسنَةً، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.. آمين آمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مُراقبة الله تعالى

الجمعة: ٢٠ من ذي الحجة ١٤٣٤هـ - ٢٥ من أكتوبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فمن أخلاق الإسلام خُلِقَ المراقبة، ينبغي للمسلم أن يراقب نفسه قبل العمل وفي العمل، هل يحركه عليه هوى النفس أو المحرك له هو المولى سبحانه وتعالى؟..

أيها الإخوة الكرام: إِنَّ خُلِقَ المراقبة خُلِقَ عظيم من أخلاق الإسلام، تعالوا بنا نتعرّف على هذا الخلق لغةً واصطلاحًا.

- المراقبة لغةً: في مادة رَقَبَ في المعجم الوسيط:

(راقبه): مراقبةٌ ورقابًا: رقبه أي حرسه ولاحظه ويقال: راقب الله أو ضميره في عمله أو أمره: خافه وحشيه.

وفلان لا يراقب الله في أمره: لا ينظر إلى عقابه فيركب رأسه في المعصية. من المعجم الوسيط (صفحة ٣٦٣).

والمراقبة في الاصطلاح كما عرفها الإمام ابن القيم في مدارج السالكين: «المراقبة: دوام علم العبد وتيقُّنه باطِّلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه؛ فاستدامته لهذا العلم واليقين: هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأنَّ الله سبحانه رقيبٌ عليه ناظرٌ إليه سامعٌ لقوله، وهو مطَّلَع على عمله كل وقتٍ وكل لحظة...». مدارج السالكين (الجزء الثاني صفحة ٤٩).

* أيها الإخوة الكرام: لنعلم جميعاً أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه، فمن احترز من أمرٍ من الأمور بسبب غيره، يقال إنه يراقب فلاناً، ويراعي جانبه.

ومن هنا نقول: لابد أن نراقب المولى سبحانه وتعالى في السرِّ والعلن.

(وقيل: من راقب الله في خواطره عصمه في حركات جوارحه). من مدارج السالكين لابن القيم (الجزء الثاني ٤٩).

ولنعلم جميعاً أنَّ المولى سبحانه وتعالى ما أنزل من السماء إلى الأرض واعظاً أكبر، ولا زاجراً أعظم مما تضمنته الآيات التالية وأمثالها في القرآن الكريم:

قال تعالى: «أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ». (هود: ٥).

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا يخفى عليه شيءٌ وأن السرَّ عنده كالعلانية، فهو عليم بما تنطوي عليه الضمائر وما يُعلن وما يُسرُّ.

وقال تعالى أيضاً: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ». (ق: ١٦).

وقوله سبحانه وتعالى: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ». (البقرة: ٢٣٥).

* ولاشكّ -أيها الإخوة الكرام- أنّ العاقل إذا علم أن الحكمة التي خلق من أجلها هي أن يُبتلى بإحسان العمل فإنه يهتم كل الاهتمام بالطريق الموصلة لنجاحه في هذا الاختبار.

قال الله رب العالمين في كتابه الكريم: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ». (الملك: ٢).

ولهذه الحكمة الكبرى سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا ليعلمه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن الطريق إلى ذلك هو مراقبة الله سبحانه وتعالى، والعلم بأنه لا يخفى عليه شيء مما يفعل خلقه فقال له: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». رواه مسلم في صحيحه (٨) وهو من حديث عمر بن الخطاب ورواه أبو داود (٤٦٩٥) والترمذي (٢٦١٠) وابن ماجه (٦٣) والنسائي (٤٩٩٠).

هكذا فسّر نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم الإحسان تفسيراً لا يستطيعه أحد غيره بما أعطاه المولى سبحانه وتعالى من جوامع الكلم، وأضرب لحضراتكم مثلاً ولله المثل الأعلى: هناك أشياء استُحدثت في المستشفيات والمصانع والمحال التجارية حيث يتم بتُّ أجهزة المراقبة والتصوير في

شتى المواقع لمراقبة العمال واللصوص الذين ينزجرون بذلك؛ فلا نجد منهم من يقصّر في عمله أو لصًا يحاول سرقة شيء حتى لا ينكشف أمره، وسبحان الله العظيم يخلو الإنسان بنفسه وينتهك حرمة الله تعالى والله عزّ وجل مطلع رقيب عليه!.

أفلا ينزجر هؤلاء العصاة؟ أفلا يراقبون الله تعالى فيما يفعلونه؟

* أيها الإخوة الكرام: إنّ نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم علّمنا كيف تكون مراقبة الله جل وعلا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن». رواه الترمذي في سنته (١٩٨٧) وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧) وهو من حديث أبي ذر رضي الله عنه، فنبينا الكريم صلى الله عليه وسلم علّمنا أنّ العبد لابد أن يراقب الله عزّ وجل في كل حركته وكلماته بل في كل وقت وحين.

«اتق الله حيثما كنت» ومعلوم لدينا جميعًا أنّ العبد قد يخطئ ويقع في معصية من المعاصي؛ ولذلك عقّب بعدها صلى الله عليه وسلم بقوله: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» وهذا أمرٌ يتعلّق بحقّ المولى سبحانه وتعالى.

أما فيما يتعلّق بحقّ العباد فلقد قال عليه الصلاة والسلام: «وخالق

الناس بخلق حسن» فجمع نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم بين حقّ الله تعالى وحقّ العباد بكلماتٍ يسيرة أدّت معاني كثيرة.

حتى إنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت». حديثٌ حسن رواه ابن حبان وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٥٥).

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «من استطاع منكم أن يكون له خبءٌ من عملٍ صالحٍ فليفعل». حديثٌ صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠١٨).

هكذا أيها الإخوة الفضلاء تكون مراقبة المولى سبحانه وتعالى بأن ينشغل الإنسان المؤمن التقي بعين الله ومراقبته ولا ينشغل بعين الناس طلباً للحمد والثناء، فلقد قال نبينا الأكرم الأمين صلى الله عليه وسلم: «مَنْ التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومَنْ التمس رضاء الناس بسخط الله وكَّله الله إلى الناس». حديث صحيح رواه الترمذي في سنته (٢٤١٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٩٧) وهو من حديث عائشة رضي الله عنها.

هذه هي المراقبة.. هذا هو مقام الإحسان، لذلك قال الله رب العالمين في كتابه الكريم: «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ». (الأعراف: ٥٦).

يقول الحافظ ابن كثير عند تفسيرها: (أي إن رحمته مرصدة للمحسنين الذي يتبعون أوامره، ويتكون زواجه كما قال تعالى: «ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون» الآية)، وقال قريب ولم يقل (قريبة) لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب لأنها مضاف إلى الله فهذا قال: قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ). تفسير القرآن العظيم لابن كثير (الجزء الثالث صفحة ٢٥٢).

يقول في الجلالين: («إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ» المطيعين وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لإضافتها إلى الله). من تفسير الجلالين (صفحة ١٥٧).

ولقد عقد ابن القيم في كتابه مدارج السالكين فصلاً فقال: ومن منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) منزلة المراقبة.

فلا بد من أن نراقب الله تعالى في أقوالنا وأفعالنا، وما يستلقت الانتباه أن صفة الإحسان كانت ظاهرةً في قصة يوسف عليه السلام.. كيف ذلك؟ هذا ما سنعرفه بإذن الله تعالى في الخطبة الثانية، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأكرم الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فتكرار صفة الإحسان في قصة يوسف عليه السلام يلفت النظر؛ فكان محسنًا مع ربه محسنًا مع الناس فلقد سمي الله قصته «أَحْسَنَ الْقَصَصِ». (يوسف: ٣).

وآتاه الله الحكمة والعلم مع الشباب تأسيسًا على الإحسان، قال تعالى: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ». (يوسف: ٢٢).

ولقد وصفه السجناء بذلك عندما دخل السجن، قال تعالى: «بَبْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ». (يوسف: ٣٦).

وبالإحسان مكَّنه الله سبحانه وتعالى في الأرض، قال تعالى: «وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ». (يوسف: ٥٦).

وإخوة يوسف عليه السلام وصفوه بهذا الوصف وهم لا يعرفونه، قال تعالى: «فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَاتَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ». (يوسف: ٧٨).

وقال عن نفسه وعن أخيه:

«قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ». (يوسف: ٩٠).

ثم أثنى يوسف عليه السلام على ربه بإحسانه إليه، قال تعالى: «وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السُّجُنِ». (يوسف: ١٠٠).

لقد كان سيدنا يوسف عليه السلام -أيها الإخوة الكرام- قَمَّةً في الإحسان والمراقبة، ولقد ذكر المولى سبحانه وتعالى عن سيدنا يوسف الصديق عليه السلام من العفاف أعظم ما يكون؛ فلقد كان شاباً وغريباً عن أهله ووطنه، وكان عزباً ليس عنده ما يعوضه، وكانت المرأة التي تعترض طريقه بقوة ذات منصبٍ وجمال وكانت هي الطالبة، ولكنه كان عفيفاً، ولم يطعها، وبَيَّنَّ قرآن ربنا الكريم وجزم بأنه بريءٌ من تلك المعصية، قال تعالى: «هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي». (يوسف: ٢٦).

وقوله تعالى: «رَبِّ السُّجُنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ». (يوسف: ٣٣).

ولقد اعترفت المرأة بذلك فلقد قالت للنسوة: «وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ

فَاسْتَعْصَمَ». (يوسف: ٣٢).

انظروا إلى قمة مراقبة الله من فعل يوسف «فَاسْتَعْصَمَ».

ولقد اعترف زوج المرأة فقال: «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَن هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ». (يوسف: ٢٩).

وأما شهادة الحق سبحانه وتعالى بأنه بريء قوله تعالى: «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ». (يوسف: ٢٤).

لقد شهد الله عز وجل على طهارته أربع مرات:

الأولى: قوله تعالى: «لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ».

الثانية: قوله تعالى: «وَالْفَحْشَاءَ» أي وكذلك لنصرف عنه الفحشاء.

الثالثة: قوله تعالى: «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا» ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يقعون في الزنا، قال تعالى في كتابه الكريم: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ». (الفرقان: ٦٨).

الرابعة: قوله تعالى: «الْمُخْلَصِينَ».

وأقول لحضراتكم: إن كلمة المخلصين فيها قراءتان كما ورد في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة: قراءة بالكسر وقراءة بالفتح.

(المُخْلِصِينَ): ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بكسر اللام والباقون بفتحها. من كتاب القراءات العشر المتواترة للشيخ / جمال الدين محمد شرف (صفحة ٢٣٨).

وأقول لحضراتكم: قراءة الكسر -أي باسم الفاعل- يدل على أنه يأتي بالطاعات مع صفة الإخلاص؛ أما قراءة الفتح -أي ورودها باسم المفعول- يدل على أَنَّ الله عز وجل استخلصه لنفسه.

يقول ابن كثير عند قوله تعالى: «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ»: «أي من المجتبيين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار صلوات الله وسلامه عليه. تفسير القرآن العظيم (الجزء الرابع صفحة ٢٢١).

فلنتعلَّم خُلُق المراقبة من هذا القِصص القرآني العظيم قصص سيدنا يوسف عليه السلام، وهذا درسٌ للشباب أن يتصفوا بالعِفَّة والطهارة والنقاء وأن يكون هذا القِصص نبراسًا لهم على طريق الحق واليقين، والله تعالى أسأل أن يوفِّقنا لهذا الخُلُق العظيم فهو وليُّ ذلك والقادر عليه، اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حقَّ تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عَنَّا،

ربنا آتينا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار؛ آمين آمين..
وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

الاحتفال الحقيقي بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم

الجمعة: ٢٧ من ذي الحجة ١٤٣٤هـ - ١ من نوفمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَالَ لَهُ، وَمَنْ يَضِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»

(الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فإننا نستقبل عامًا هجريًا جديدًا، ولئن دار الزمان دورته فإنَّ العام الهجري الجديد ضيفُ محبب إلى قلوبنا، نستقبل عامنا الجديد راجين المولى عزَّ وجلَّ أن تكون مناسبة الهجرة النبوية نبراسًا لنا يضيء لنا طريق الحق واليقين، وليهتئ نفسه من طوى عامه الهجري بصحائف بيضاء، وليعاهد نفسه على صفحاتٍ جديدة ناصعة بيضاء، وليرجع إلى الحق من قَصْر وأساء.

* أَيُّهَا الإخوة الكرام: إِنَّ العمر يمرُّ.. ليل يأتى ونهار يفرُّ، سنوات تنقضي تلو سنواتٍ، وإنها شاهدة للإنسان أو عليه بما أودعها من الأعمال، فمن أودعها عملاً صالحًا فليحمد الله عزَّ وجلَّ وليبشِّر بحُسن الثواب؛ فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ومن أودعها عملاً سيئاً فليتب إلى الله توبة نصوحًا، فإنَّ الله يتوب على من تاب، وإنه وإن انقضى عامٌ فإنَّ عمل المؤمن لا ينقضي قبل الموت، قال الله عز وجل في كتابه الكريم: «وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ». (الحجر: ٩٩).

قال في الجلالين: «وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» (الموت). من تفسير الجلالين (صفحة ٢٦٧).

وقال تعالى أيضًا في كتابه العزيز: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ

وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

وأقول لحضراتكم: إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بشرنا بأن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٌ جارية أو علمٌ يُتفَع به أو ولدٌ صالح يدعو له.

فليجتهد المسلم في فعل الطاعات وليجتنب المعاصي والسيئات؛ ليفوز بالحياة الطيبة في الدنيا والأجر العظيم في الآخرة، قال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (النحل: ٩٧).

إن الاحتفال الحقيقي بالهجرة النبوية المباركة:

* بالتوبة إلى الله تعالى:

فإنَّ التوبة واجبةٌ من كل ذنبٍ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى فلها ثلاثة شروط:

* أحدها: أن يُقلع عن المعصية؛ فإن كان الذنب تركاً واجباً من الواجبات فالإقلاع عن هذا الذنب بفعل هذا الواجب؛ فإذا كان لا يصلي فلا بد أن يصلي، وإن كان لا يزكي فلا بد أن يزكي ويخرج الزكاة التي مضت ولم يؤدها، وإذا كان الإنسان مقصراً في حق الوالدين فإنه يجب عليه أن يقوم ببرهما، وإن كانت المعصية بفعل محرّم من المحرمات فالواجب أن يقلع

عن هذا المحرّم في الحال، فإذا كانت المعصية بالغشّ والكذب والخيانة فالواجب عليه أن يقلع عن هذا كله، وإذا كانت المعصية غيبَةً أو نيممة فالواجب عليه أن يقلع عنهما.

* والثاني: أن يندم على ما فعل من ذنوبٍ؛ لأن كونه الإنسان يندم على ما اقترف من ذنوب يدل دلالةً واضحةً على أنه صادقٌ في التوبة.

* الثالث: أن يعزم على عدم العود إلى المعصية.

فإن فقد شرطًا من هذه الشروط لم تصح توبته، فلا بد من الإتيان بهذه الشروط جميعًا.

* وأقول لحضراتكم: إن كانت المعصية تتعلق بإنسانٍ فلا بد من شرط رابع بجانب الشروط السالفة الذكر، وهو أن يردّ الحقوق لأصحابها، فإن كانت مالاً أو نحوه فلا بد من ردّه لصاحبه، وقد دلّت آيات ربنا في كتابه الكريم على وجوب التوبة، قال تعالى: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ». (هود: ٣).

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا». (التحریم: ٨).

وقال تعالى: «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

(النور: ٣١).

فأقبلوا على الله، اهجروا المعاصي؛ هذا معنى عظيم نستلهمه من الهجرة المباركة، فالله عزَّ وجل ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها.

الاحتفال الحقيقي بالهجرة:

* بالإخلاص في جميع الأقوال والأعمال البارزة والخفيّة:

قال تعالى: «وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ». (البيّنة: ٥).

والأسلوب أسلوب قصر يفيد التوكيد والتخصيص وسيلة النفي بما والاستثناء بإلا، وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». رواه البخاري في صحيحه (١).

اعلموا أيها الكرام أن النية محلها القلب، وأن الشيطان يأتي للإنسان الذي ينوي فعل خير فيثبّطه، ويقول له إنك تفعل ذلك رياءً وسمعة،

فلا تلتفتوا لوساوس الشيطان واجعلوا وجهتكم إخلاص العمل لله رب العالمين.

الاحتفال الحقيقي بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم:

* بمراقبة المولى عزَّ وجلَّ الذي يرانا:

فالله عز وجل يعلم كل أقوالك وأفعالك.

قال الله تعالى: «الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ». (الشعراء: ٢١٨، ٢١٩).

فالله عز وجل يرانا ويعلم كل شيء نقوله أو نفعله أو نخفيه.

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ». (آل عمران: ٥).

وقال تعالى: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ». (الحديد: ٤).

هذه الآية الكريمة تقتضي أنك إذا علمت أن الله معك فإنك تخافه وتتقيه وتراقبه؛ فالله يراك حتى ولو كنت في بيتٍ مظلم تقوم بطاعته أمر بمعصيته.

الاحتفال الحقيقي بهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم:

* بالمبادرة إلى فعل الخيرات:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ». (البقرة: ١٤٨).

وقال تعالى: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ». (الحديد: ٢١).

أيها الإخوة الكرام: ينبغي للإنسان أن يسارع في الخيرات؛ تفصيل ذلك نعرفه في الخطبة الثانية إن شاء الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله وكفى، وسلاماً على عباده الذين اصطفى، وعلى خاتمهم
المجتبى صاحب الهجرة الميمونة وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فما أجمل المبادرة إلى فعل الخيرات اقتداءً بصاحب الهجرة
المباركة، فمن ذلك الصلاة والصدقة والصوم والحج، وبرُّ الوالدين،
ومساعدة الآخرين.

** أيها الإخوة الكرام: بادروا بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان، سارعوا
قبل انقضاء الآجال، سارعوا قبل أن ينزل بكم الموت وحينها تذهب
أنفسنا حسراتٍ على ما فرّطنا في أوقاتنا وما فرّطنا في عبادتنا.

* فالصلاة أيها الإخوة الكرام تُغْفَرُ بها الذنوب، وهذا هو موعود الله عزَّ
وجل لنا.

قال تعالى: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ
يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ». (هود: ١١٤).

* والصدقة أيها الإخوة الكرام تطفئ غضب الربِّ سبحانه وتعالى، الإنفاق

في سبيل الله قال الله تعالى فيه: «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ». (سبأ: ٣٩).

وقال تعالى أيضًا: «وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَّمُونَ». (البقرة: ٢٧٢).

* والذكر يكفر الذنوب:

قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ مِائَةً مَّرَّةٍ حَطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

* وبرُّ الوالدين أيها الإخوة: فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». رواه البخاري في صحيحه (٥٢٧) ورواه مسلم (٨٥) والترمذي (١٨٩٨).

* والصوم أيها الإخوة الكرام:

فالصوم فضله عظيم، ونحن على أعتاب شهر الله المحرم؛ قال صلى الله عليه وسلم في صيامه: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ». رواه مسلم في صحيحه (١١٦٣).

وانطلاقاً من هذا الحديث: فللمسلم أن يُكثر من الصيام في هذا الشهر، ولنتذكَّر فضل الصيام؛ فلقد روى سهل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرِهِمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرِهِمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ». رواه البخاري في صحيحه (١٨٩٦) ومسلم في صحيحه (١١٥٢).

ولنتذكَّر أن صوم يوم عاشوراء -وهو اليوم العاشر من المحرم- له فضلٌ عظيم عند الله تعالى؛ فعلى المسلم أن يغتنم صومه خالصاً لله وحده رجاء أن يغفر له ذنوب السنة الماضية.

فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن صوم يوم عاشوراء فقال: «يَكْفُرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ». رواه مسلم في صحيحه (١٩٧٦).

وللمسلم أن يصوم التاسع فيجمع بين التاسع والعاشر، ولك أيضاً أن تصوم التاسع والعاشر والحادي عشر، وينبغي لكل منّا أن يدعو أهله وجيرانه وأصدقاءه لصوم عاشوراء إحياءً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

* أيها الإخوة الكرام: هذا هو الاحتفال الحقيقي بهجرة النبي صلى الله

عليه وسلم، وهذه المعاني العظيمة استلهمناها من هجرته الشريفة،
فعلينا أن نتأسى بصاحب الهجرة وأن نجعل سنته نبأً لنا يضيء لنا
الطريق، وأسأل المولى سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لما يحبه ويرضاه فهو
وليُّ ذلك والقادر عليه؛ اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت وعافنا فيمن
عافيت، وتولّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ
ما قضيت، اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى
المسلمين.. اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجملاً همومنا
وأحزاننا، اللهم ارزقنا تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي
يرضيك عنا، ربنا آتينا في الدنيا حسنَةً، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار..
آمين آمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

المراقبة عند الصحابة والتابعين

الجمعة: ٤ من المحرم ١٤٣٥هـ - ٨ من نوفمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنُسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل
عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»
(الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فلقد تحدّثنا في الجمعة قبل الماضية عن مراقبة الله تعالى ثم تحدّثنا في الجمعة الماضية عن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، واليوم بإذن الله نكمل الحديث عن خُلق المراقبة من خلال مراقبة صحابة رسول الله لربهم عز وجل وكذلك السلف الصالح.

* أيها الإخوة الكرام: إنّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كتبوا بأحرفٍ من نورٍ سطورًا في التاريخ في مراقبتهم لله عزَّ وجل، فعن أبي مليكة قال: سئل أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- عن آيةٍ في كتاب الله عزَّ وجل، قال: أيُّ أرضٍ تُقلُّني، وأي سماءٍ تظلُّني وأين أذهب وكيف أصنع إذا أنا قلتُ في آيةٍ من كتاب الله بغير ما أراد الله. الحافظ في الفتح (٣٠٥/١٣).

انظروا إلى مراقبة الصديق لربه عز وجل، فعن ابن سيرين قال: «لم يكن أحدٌ أهيب بما لم يعلم من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وإن أبا بكرٍ نزلت به قضيةٌ، فلم يجد في كتاب الله منها أصلًا، ولا في السنة أثرًا فاجتهد برأيه، ثم قال: هذا رأيي فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأً فمني، وأستغفر الله». والخبر صحيح رجاله ثقات.

انظروا أيها الإخوة الكرام إلى مراقبة الصديق لمولاه عزَّ وجل، وأقول لحضراتكم: إنّ أبا بكر رضي الله عنه لما اجتهد وقال برأيه في المسألة لم يكن عن هوىٍ وإنما عن علمٍ؛ فالعالم هو الذي يجتهد لا أن يأتي

إنسان ليس عنده علمٌ فيقول: أجتهد برأيي، هذا لا يصح ولا يجوز؛ إنما الاجتهاد في الشرع يكون مبنياً على علمٍ بالكتاب والسنة، ومعرفةٍ باللغة العربية وأصول الفقه ومسائل الإجماع وغيرها. (يرجع في ذلك إلى كتب أصول الفقه).

وها هو فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً يسطر صفحاتٍ ناصعةٍ على جبين التاريخ، يبين مراقبته لمولاه وخوفه من التقصير؛ فعن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب كان يدخل يده في دُبر البعير، ويقول: إني خائفٌ أن أسأل عما بك. (والأثر رجاله ثقات).

انظروا إلى ورعه وخوفه يسأل عن بعيرٍ، ونحن نرى تقصير الناس في أبنائهم وفي أعمالهم وهذا من عدم المراقبة والله المستعان؛ وها هو عبد الله بن عمر بن الخطاب كان يراقب الله في كلِّ شيءٍ سار على طريق أبيه الفاروق؛ فعن نافع في أثرٍ رجاله ثقات، قال نافع: كان ابن عمر إذا قرأ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» بكى حتى يغلبه البكاء.

هذه مراقبة لله عز وجل، أين نحن من هذا؟ أين نحن من هذه المعاني السامية التي سطرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

* أيها الإخوة الكرام: إننا يجب أن نراقب مولانا في كل أقوالنا وأفعالنا،

ووالله الذي لا إله غيره لو راقبناه لانصَلح حالنا وعمَّنا الله بالبركة والخير والرزق والأمن والأمان، وأسوقُ لشباب الأمة -بل كل الأمة- هذا النموذج الفريد:

- أراد جماعة من المفسدين إغواء العابد الزاهد (الربيع بن خثيم)، فذهبوا إلى امرأةٍ من البغايا وأعطوها ألف دينار، فسألت عن سبب ذلك فقالوا لها: هذا ثمن قُبلةٍ واحدةٍ تأخذينها من الربيع بن خثيم.

ففرحت هذه المرأة البغي وقالت: ولكم فوق ذلك أن يزني. ذهبت المرأة إلى هذا العابد الزاهد، وتعرَّضت له بعد أن جرَّدت نفسها من الحياء المترتب على تجرُّدها من الإيمان، فقام إليها الربيع مسرعًا وقال لها: كيف بك يا أمة الله إذا نزل بك مَلَك الموت فقطع منك جبل الوتين؟ أم كيف بك يوم يسألك منكرٌ ونكيرٌ؟ أم كيف بك يوم تقفين بين يدي العزيز الجليل؟ أم كيف بك إن لم تتويي يوم تُرَمين في الجحيم؟!

ففزعت المرأة وخرجت من عنده تائبَةً عابدة قائمة صائمة حتى لُقبت بعد ذلك بعبادة الكوفة، فقال هؤلاء الفُجَّار الذين أرسلوها لإفساد الربيع بن خثيم: أردنا منها أن تُفسد الربيع بن خثيم فأفسدها الربيع علينا.

هذا بسبب خُلُق المراقبة هو يراقب ربه في كل أقواله وأفعاله لذلك ثبتته

اللَّهُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ؛ اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،
اللَّهُمَّ لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا.

* أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا.

قال سهل: «لَمْ يَتَزَيَّنِ الْقَلْبُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ وَلَا أَشْرَفَ مِنْ عِلْمِ الْعَبْدِ بِأَنَّ
اللَّهَ شَاهِدَهُ حَيْثُ كَانَ.

وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ
حَسِبَ رَبَّهُ» (البينة: ٨).

فقال معناه: ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزوّد لمعاده.

استوصى رجلٌ بعض السلف فقال: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك
وتذكّر قوله عز وجل: «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم
بِالنَّهَارِ» (الأنعام: ٦٠).

ولله درُّ القائل:

وإذا خلوت الدهر يوماً فلا تقل * خلوتُ، ولكن قل عليّ رقيبُ

ولا تحسبن الله يغفل ساعةً * ولا أن ما تخفيه عنه يغيبُ

* أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: لِنَعْلَمَ جَمِيعًا أَنَّ جَوَارِحَنَا سَتَشْهَدُ عَلَيْنَا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ مَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي سَيَنْطَقُهَا لِتَكُونَ دَلِيلًا عَلَيَّ مَا

فعل صاحبها.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (النور: ٢٤).

وقال تعالى أيضًا: «وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ». (فصلت: ١٩-٢١).

فانتبه أيها الأخ الكريم ولا تغرّبك الحياة الدنيا؛ فهي إلى زوالٍ اجعلها في يديك لا في قلبك.

قال أنس رضي الله عنه: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال: «هل تدرّون ممّ أضحك؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول: يارب ألم تُجرني من الظلم؟» قال: يقول: بلى.

قال: فيقول: إني لا أجزى على نفسي إلا شاهدًا مني.

قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا وبالكرام الكاتبين شهودًا.

قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه انطقي.

قال: فتتطق بأعماله. قال: ثم يخلي بينه وبين الكلام.

قال: فيقول: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضَلُّ. رواه مسلم في صحيحه (٢٩٦٩).

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أَنَّ هذه الجوارح ستنتطق وتتكلم وتخبر ما عملته، وهذا ليس بعجيبٍ فالله على ما يشاء قدير، ولنعلم جميعًا أَنَّ الأرض أيضًا سوف تتكلم وتخبر بكل ما وقع عليها وحدث على ظهرها. قال الله تعالى في كتابه الكريم: «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا». (الزلزلة: ٤، ٥).

أيها الإخوة الكرام: اتقوا ربكم واخشوا يومًا عظيمًا لا يُقْبَلُ فيه إلا العمل الصالح.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وعلى خاتمهم
المجتبى صلى الله عليه وسلم.

أما بعد؛ فلنعلم جميعًا أن هناك من يأتي يوم القيامة بأعمالٍ عظيمة
وجبالٍ من الحسنات لكن يالللحسرة يجعلها الله هباءً منثورًا.

كيف يكون ذلك؟! الإجابة عند الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم؛
روى ابن ماجة في سننه من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: «لأعلمنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة
بحسناتٍ أمثال جبال تهامة بيضًا فيجعلها الله عزَّ وجل هباءً منثورًا.
قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلَّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن
لا نعلم. قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما
تأخذون، ولكنهم أقوامٌ إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها». رواه ابن ماجة
(٤٢٤٥) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٠٥).

انظروا: عندما خلوا بمحارم الله انتهكوها؛ وهذا لعدم مراقبتهم لمولاهم

عزَّ وجل، ولقد أجزل الله العطاء لمن راقبه سرًّا وعلانية.

قال تعالى في كتابه الكريم: «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ». (الملك: ١٢).

ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم السبعة الذين يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظله ذكرهم؛ لأنهم راقبوا الله في سرّهم وفي خلواتهم فأكرمهم المولى سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة؛ أولى بنا أيها الإخوة أن نعلم مَنْ هؤلاء حتى نفعل فعلهم لنفوز برضا الله عز وجل، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمامٌ عادل، وشابٌّ نشأ بعبادة الله، ورجلٌ قلبه معلقٌ في المساجد، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصبٍ وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه». متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) رقم (٦١٠) وهو في صحيح البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

هذه الأصناف مع ذكرها في أسلوبٍ واحد أيها الإخوة مع تفاوت مواضعها إلا أنها يربطها رباطٌ واحد ألا وهو مراقبة المولى سبحانه وتعالى. فالإمام العادل: لم يتحقق عدله إلا إذا كان مراقبًا لله رب العالمين.

والشاب الذي نشأ في عبادة الله عز وجل:

لا يرهب إلا ربّه ولا يرجو إلا رضاه وثوابه، فيراقب ربه في سره وعلايته.

والرجل الذي قلبه معلقٌ بالمساجد: لم يتعلق قلبه بالدنيا الفانية إنما تعلق قلبه بيوت الله عز وجل، وقد أسند النبي صلى الله عليه وسلم التعلق للقلب لا الجسم لأنَّ حلاوة الإيمان محلها القلب.

أما المتحابون في الله: لا مال بينهم ولا نسب يربطهم إنما يحب بعضهم بعضاً في الله دون مصالح شخصية، فارتباطهم في الله عز وجل فإذا اجتمعا كان لله وإذا افترقا كان لله.

والمتصدِّق في الخفاء: تغلّب على بخل النفس وتخطّى حب الثناء والمدح فغالب في نفسه غريزتين: غريزة الشُّح وغريزة حب الثناء، بذل ماله في خفاءٍ مراقباً ربه عز وجل بعيداً عن الرياء والسمعة.

أما الباكي من خشية الله: فهل أبكاه إلا مراقبة مولاه والخوف منه سبحانه وتعالى؟! إما من ماضٍ أساء فيه أو مستقبل لا يعلم ما الله فاعل فيه.

أيها الإخوة الكرام: تخيّلوا أنفسكم في أرض المحشر وأعدّوا للسؤال جواباً من الآن، أيها الإخوة الكرام: أسأل الله عز وجل أن يوفّقنا لما يحبه ويرضاه فهو ولي ذلك والقادر عليه؛ اللهم اهدنا فيمن هديت

وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا
وأصرف عنا شر ما قضيت، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم
والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات؛ اللهم اشف مرضانا ومرضى
المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين، ربنا آتنا في الدنيا حسنَةً، وفي
الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

آمين آمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه
وسلم ..

* أثر المراقبة على الفرد والأمة *

الجمعة: ١١ من المحرم ١٤٣٥هـ - ١٥ من نوفمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل
عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»
(الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فإنَّ مراقبة المولى سبحانه وتعالى تحيي القلوب الميتة، وتوقظ الضمائر التي أطبق عليها النوم، وتجعل الإنسان صورةً طيبةً أمام الناس، فهو لا يسير سيرًا إلا وهو يسأل نفسه: هل هذا العمل يرضي المولى عزَّ وجلَّ أم لا؟ فنجد أنَّ كل حركةٍ من حركاته تكون لله عز وجل، وإذا راقب كلُّ منا ربه في أقواله وأفعاله فإن الأمة جميعها ستحيا في أمنٍ وأمان؛ لأنَّ أبناء الأمة قد سلكوا طريق المراقبة، وعاشوا في طاعة رب البرية سبحانه وتعالى فجلبوا الخير للأمة وحجبوا الشرَّ عنها.

قال تعالى في كتابه الكريم: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ». (الأعراف: ٩٦).

يقول الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا» أي آمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقت به واتبعوه واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات «لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» أي قطر السماء ونبات الأرض، وقال تعالى: «وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أي ولكن كذبوا رسلهم فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم...». من تفسير القرآن العظيم لابن كثير (الجزء الثالث صفحة ٢٦٤).

ويقول في الجلالين: «لَفَتَّحْنَا» بالتخفيف والتشديد «عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ» بالمطر «وَالْأَرْضِ» بالنبات. من تفسير الجلالين وقراءة التخفيف والتشديد جاءت في القراءات العشر المتواترة (صفحة ١٦٣).

يتبين لنا أَنَّ الإيمان ومراقبة المولى سبحانه وتعالى يجعلان الخير يُعْمَرُ.

نعم أيها الإخوة إنها مراقبة المولى سبحانه وتعالى.

* وأقول لحضراتكم: إِنَّ مراقبة المولى سبحانه وتعالى تقود المؤمن إلى الاعتراف بجرائمه:

لأنَّ الخوف من الله عز وجل أشدُّ من خوف الإنسان من البشر، فإذا كان القانون يفرض العقوبات الرادعة على كلِّ من يرتكب الجرائم فإن الناس دائماً يبحثون عن ثغرات القانون فيحاولون التفلُّت من العقوبة على جرائم قد ارتكبوها؛ أما إذا نظرنا إلى ما يفرضه الإيمان على الفرد المؤمن فإن إيمانه يفرض عليه مراقبة الله في السرِّ والعلن، فإذا وقع في الجريمة وجد الإيمان يقوده إلى أن يعترف على نفسه حتى يفوز بمغفرة الله ورضوانه، ورجاء أن يكون ذلك كفَّارة له عن ذنبه الذي اقترفه.

ونضرب مثلاً على ذلك كما جاء في صحيح مسلم أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنِّي ظلمت نفسي وزنيْتُ، وإنِّي أريد أن تطهرني.. فردّه فلما كان من الغد أتاه، فقال:

يا رسول الله إني قد زنيت... فردّه الثانية، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه فقال: «أتعلمون بعقله بأسًا تنكرون منه شيئًا؟

فقالوا ما نعلمه إلا وفيّ العقل من صالحينا فيما نرى.

فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضًا فسأل عنه، فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرةً ثم أمر به فرجم.

فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني.

وإنه ردّها، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لم تردني؟! لعلك أن تردني كما رددت ماعزًا، فوالله إني لحبلى.

قال: إما لا فاذهبي حتى تلدي.

فلما ولدت أته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته.

قال: اذهبي فأرضعيه حتى تفتطيه.

فلما فطمته أته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يانبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام.

فدفع الصبي إلى رجلٍ من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها... فيقبل خالد بن الوليد بحجرٍ فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبّها، فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم سبّه

إياها فقال: مهلاً يا خالد؛ فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبَةً لو تابها صاحب مَكْسٍ لَغَفِرَ له.

ثم أمر بها فصلى عليها ودُفنت. رواه مسلم في صحيحه رقم (١٦٩٥).

* أيها الإخوة الكرام: إنَّ مراقبة المولى تجعل المؤمن يأكل الحلال الطيب ويتعد عن الحرام: فتجده لا يأكل إلا الحلال ولا يُدخل بيته إلا الحلال. قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «يأتي على الناس زمانٌ لا يبالي المرء ما أخذَ منه أمن الحلال أم من الحرام». رواه البخاري في صحيحه (٢٠٥٩) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولقد بَوَّبَ الإمام البخاري للحديث وقال: باب من لم يبالٍ من حيث كسب المال.

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامةٍ من عند ربِّه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم». رواه الترمذي (٢٤١٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٦).

* أيها الإخوة الكرام: إنَّ مراقبة المولى سبحانه وتعالى تجعل الإنسان

يصدق في معاملته: فالإسلام أيها الإخوة انتشر في بقاع الأرض بصدق المعاملة وأمانة البيع والشراء؛ لأنَّ المسلم إذا كان صادقًا أمينًا في البيع والشراء فقد شهد للإسلام شهادةً عملية كما شهد له من قبل شهادةً قولية.

* أيها الإخوة الكرام: إنَّ مراقبة المولى سبحانه وتعالى تجعل الضمير حيًّا دائمًا؛ فإنَّ الضمير الذي يضع الإيمان نصب عينيه ضميرٌ حيٌّ يَظنُّ يحاسب المؤمن قبل القيام بالعمل فيقول: ماذا تعمل؟ ولماذا؟ ولمن تعمل هذا العمل؟ ثم يحاسب نفسه بعد هذا العمل.

قال الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى: «وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ» (القيامة: ٢)، قال: لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلمي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قُدَمًا لا يعاتب نفسه.

وقال أيضًا: المؤمن قوَّامٌ على نفسه يحاسبها لله، وإنما خَفَّ الحساب على قومٍ حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما الحساب يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة.

وبالجملة نجد أنَّ محاسبة النفس ومراقبة الله تعالى تجعل القلب والجوارح في يقظةٍ دائمةٍ؛ ويكفيينا من كل هذا أن نكون ذاكرين لله على الدوام خائفين أن يحرمننا رؤيته والنظر إلى وجهه الكريم:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ». (المطففين: ١٥).

* أيها الإخوة الكرام: إنَّ مراقبة الله تعالى طريق إلى تزيكفة النفس: قال الله رب العالمين في كتابه الكريم: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا». (الشمس: ٩-١٠).

وبين أنه لا يدخل الجنة إلا نفس زكية طاهرة، قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ». (الزمر: ٧٣).

قال العلامة السعدي في تفسيره عند قوله تعالى: «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ»: «بتوحيده والعمل بطاعته سوق إكرام وإعزاز». من تفسير تيسير الكريم الرحمن (صفحة ٨٣٩).

* أيها الأخبة الكرام: إنَّ مراقبة المولى من أسباب النجاة من المعاصي: كان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: «اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك». (رواه الترمذي في سننه ٣٥٠٢) من حديث ابن عمر وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٨).

بل إن الذي يخاف ربه فيترك ما نهى عنه ويفعل ما أمر به فله جنتان.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ». (الرحمن: ٤٦).

اللهم اجعلنا من أهل الجنة، اللهم متّعنا بالنظر إلى وجهك الكريم.

أيّها الإخوة الكرام: هناك أشياء تعيننا على مراقبة المولى سبحانه وتعالى، هذا ما سنعرفه بإذن الله تعالى في الخطبة الثانية.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وعلى خاتمهم
المجتبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإنَّ من الأشياء التي تعيننا على مراقبة الله أن نتعرف على الله
عز وجل بأسمائه الحسنی وصفاته العُليا؛ فإذا علمنا أنَّ الله هو الرقيب
والحسيب العليم السميع البصير كان ذلك دافعاً لأن نستحضر عظمة الله
تعالى فنراقبه في أعمالنا كلها.

وأيضاً يعيننا على مراقبة الله تعالى: البُعد عن أصدقاء السوء والحرص
على مرافقة الصالحين، ومن هنا جاءت كلمات النبي صلى الله عليه وسلم
التي تضيء لنا الطريق.

قال صلى الله عليه وسلم: «لا تُصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا
تقيٌّ». رواه الترمذي (٢٣٩٥) وأبو داود (٤٨٣٢) وهو من حديث أبي سعيد
الخدري وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٤١).

وأيضاً يعيننا على مراقبة المولى عز وجل:

الخوف من سوء الخاتمة فإنَّ الخوف من سوء الخاتمة جعل العابدين خائفين وجلين يخشون من سوء الخاتمة؛ فهم يعلمون أنَّ الأعمال بخواتيمها فكان أحدهم يظلُّ الليل كله يقرأ قوله تعالى: «وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ». (الزمر: ٤٧).

ويكي خوفًا من سوء الخاتمة، إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يُكثر من هذا الدعاء: «يا مُقَلِّبَ القلوب ثبَّتْ قلبي على دينك»، فقال أنس: «يا رسول الله آمنة بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم إنَّ القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلِّبها كيف يشاء». الرواية في سنن الترمذي (٢١٤٠) وابن ماجه في سننه (٣٨٣٤) وصحها الألباني في الصحيحة (٢٠٩١).

ومن الأسباب التي تعيننا على مراقبة الله استحضار نعيم الجنة وعذاب النار؛ فالعاقل هو الذي يراقب ربه وينهي نفسه عن المحرمات، ويُقبل على ربه عزَّ وجلَّ ولسان حاله يقول: «وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى». (طه: ٨٤).

فمن كان على معصية الله فليتب إلى الله وليسرع إلى مغفرته فهو ربُّ رحيم غفور يقبل التوبة عن عباده، فإنَّ الإنسان لا يدري متى وأين تكون منيته بل على أي شيء يموت؛ فاللهم أحسن خاتمتنا.. اللهم أمِّتنا على الإيمان

وأمتنا على شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، اللهم اهْدِنَا
بفضلِكَ فيمن

هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت،
وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء
منهم والأموات، إِنَّكَ سميع قريب مجيب الدعوات.. اللهم اجعل القرآن
رييح قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حقَّ تلاوته آناء الليل
وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنَّا، ربنا آتنا في الدنيا حسنَةً،
وفي الآخرة حسنَةً، وقنا عذاب النار، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

* خُلِقَ الرِّفْقُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ *

الجمعة: ١٨ من المحرم ١٤٣٥هـ - ٢٢ من نوفمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَالَ لَهُ، وَمَنْ يَضِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فإنَّ الحلم والرفق من أخلاق الإسلام العظيم التي يفتح الله بها القلوب ويرققها؛ ولذلك ينبغي للمسلم أن يتصف بهاتين الصفتين لأن قلوب العباد تميل إلى صاحب القلب الرحيم الذي يرفق بمن حوله، وتبتعد عن صاحب القلب القاسي الغليظ الذي لا يرفق بمن حوله؛ تعالوا بنا أيُّها الأحبَّة نتعرف على الرفق لغَةً واصطلاحًا وحثَّ القرآن الكريم والسنة المطهرة على هذا الخلق العظيم.

جاء في المعجم الوسيط في مادة (رفق):

«رفق به، وله وعليه رِفْقًا وَمَرْفَقًا: لان له جانبه وَحَسَنَ صنيعه». المعجم الوسيط (صفحة ٣٦٢)، وفي القاموس المحيط: «الرفق بالكسر: ما استعين به، واللفظ رفق به وعليه. القاموس المحيط للفيروزآبادي (٦٥٨).

والرفق في الاصطلاح: هو لِين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضدُّ العُنف.

ولنعلم جميعًا أيُّها الأحبة الكرام أنَّ الرفق محمودٌ وضده العنف المذموم، والعنف يكون نتيجةً حتميةً للغضب والفظاظة، والرفق يكون نتيجة حُسن الخلق، والرفق أيُّها الإخوة أن نضع الأمور في مواضعها؛ الشدَّة في موضعها واللين في موضعه كما قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى.

* أيها الأُحبة الكرام:

إِنَّ من اللطائف في انكشاف كذب إخوة يوسف عليه السلام في مجيئهم لأبيهم وزعمهم أن الذئب قد أكله، أَنَّهُم خلعوا الثوب برفق فلم يحصل فيه شقوق، ولو أكله الذئب -كما زعموا- لمزق الثوب كل مُمزقًا!.

* أيها الأُحبة الكرام: إِنَّ حياتنا التي نحيها تحتاج إلى الرفق نجد الآن بعضنا يعامل بعضًا بالعنف والحدة في الحديث والتطاول فيه ولأتفه الأسباب تحدث المشكلات، كأنَّ كلاً منَّا ينتظر للأخر خطأ ولو يسيرًا.

سبحان الله العظيم! أهذا هو خُلُق ديننا العظيم!؟

إن ديننا يدعو إلى الرفق في الأمر كلِّه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرفق». رواه البخاري في صحيحه (٦٩٢٧) ورواه مسلم في صحيحه (٢١٦٥).

وانظروا إلى الأسلوب فإنه مؤكد يانِّ، فالله عز وجلٌ رفيق يحب الرفق.

* أيُّها الإخوة الكرام: إِنَّ العجلة والطيش وعدم الرفق في الأمر كلها أشياء تحدث أضرارًا؛ لأنَّ الخير بُني على الرفق؛ فمن حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه». رواه مسلم في صحيحه (٢٥٩٤).

فالفريق بالناس محبوبٌ منهم تستجيب نفوسهم له لأنه ليّن رحيم القلب، ولذلك تجمّع الصحابة حول النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «فِيمَا رَحِمَهُ مَنِ اللّٰهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللّٰهُ فَاغْرُوبًا كُنْتُ فَطًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ». (آل عمران: ١٥٩).

والله عز وجل رفيق بعباده حليم، وقيل: إنّ حلم الله على العباد تأخيره العقوبة عن المستحق لها، فيؤخر العقوبة ثم قد يعذبه، وقد يتجاوز عنه، وقد يجعل العقوبة لبعضهم.

* أيها الأحبة: إنّ القرآن الكريم والسنة المطهرة فيهما حتّ على الحلم والرفق أولى بنا أن نتصف بهما.

قال الله رب العالمين في كتابه الكريم: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ». (آل عمران: ١٣٣-١٣٤).

وقال تعالى أيضًا في كتابه الكريم: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ». (الأعراف: ١٩٩).

يقول ابن كثير: «قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» قال: هذه أخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودله عليها». من تفسير القرآن العظيم لابن كثير (الجزء الثالث صفحة ٣١٣).

وأقول لحضراتكم: إن كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فهو تأديبٌ لجميع الخلق.

وقال تعالى أيضاً في كتابه الكريم: «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ». (فضلت: ٣٤-٣٥).

أيها الإخوة الكرام: لا تستوي الحسنة ولا السيئة، لا يستوي الإحسان إلى الخلق ولا الإساءة إليهم؛ فإذا أساء إليك مسيءٌ من الخلق -خصوصاً مَنْ له حقٌ كبيرٌ عليك كالأقارب والأصحاب ونحوهم- إساءةً بالقول أو بالفعل، فقابل ذلك بالإحسان إليه، اعفُ عنه، وعامله بالقول اللين، ولا يُوفِّق لهذا الخلق العظيم إلا الذين صبروا، وما يُلْقَاهَا إلا صاحب حظٍّ عظيم؛ لكونها من صفات خواص الخلق التي بها ينال العبد المنزلة العليا في الدنيا والآخرة.

اقرأ في هذا المعنى أيضاً قوله تعالى:

«وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ». (الشورى: ٤٣).

قال السعدي في تفسيره: «وَلَمَنْ صَبَرَ» على ما يناله من أذى الخلق «وَوَغَفَرَ» لهم، بأن سمح لهم عما يصدر منهم «إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» أي: لمن الأمور التي حثَّ الله عليها وأكَّدها، وأخبر أنه لا يُلقَّها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة». من تفسير تيسير الكريم الرحمن (صفحة ٨٧٥).

* ولقد حثَّت السُّنَّة المطهرة على الحلم والرفق.

جاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تعلن ذلك وتخطب الدنيا كلها أنَّ من أخلاق الإسلام الحلم والرفق، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشجَّ عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خصلتين يحبهما الله: الجِلم والأناة». رواه مسلم في صحيحه: (١٧).

والجِلم أيُّها الإخوة: العقل اللبيب، أما الأناة فالتثبُّت وترك العجلة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». رواه البخاري في صحيحه (٦٩٢٧) ومسلم في صحيحه (٢١٦٥).

والله عزَّ وجلَّ أيُّها الإخوة يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف،

اسمع في ذلك قول رسولنا صلى الله عليه وسلم، قال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يُعطي على ما سواه». رواه مسلم في صحيحه (٢٥٩٣).

أيها الأُحبة: الرفق الرفق في الأقوال والأفعال تجذب قلوب الناس إليك.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله وكفى، وسلاماً على عباده الذين اصطفى، وعلى خاتمهم
المجتبى صلى الله عليه وسلم.

أما بعد؛ فإننا معشر المسلمين ينبغي أن نيسر ولا نعسر، ونبشر ولا ننفر
كما قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من حديث أنس رضي الله
عنه: «يسرّوا ولا تعسرّوا، وبشّروا ولا تنفروا». رواه البخاري في صحيحه (٦٩)
ومسلم (١٧٣٤).

هذا هو خلق ديننا أيها الإخوة؛ يسرّ أيها الأخ الكريم ولا تعسر، وبشّر
بالخير دائماً ولا تنفر الناس، قابل أخاك بوجه طلق، ابتسم له، تحدّث
بما هو خير، وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من يحرم الرفق يحرم الخير». رواه
مسلم في صحيحه (٢٥٩٢).

وأسوق لحضراتكم مثلاً من سنّة النبي صلى الله عليه وسلم بيّن مدى
الرفق الذي وصلت إليه هذه المرأة رقيقة القلب الرفيقة بابنتيها؛

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتني مسكينةٌ تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمراتٍ فأعطت كل واحدةٍ منهما تمرَةً، ورفعت إلى فيها تمرَةً لتأكلها؛ فاستطعمتها ابتهاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّ اللهَ قد أوجب لها بها الجنةَ، أو أعتقها بها من النار». رواه مسلم في صحيحه (٢٦٣٠).

انظروا إلى الثواب العظيم الذي حصّله هذه المرأة بفعلها هذا مع ابنتيها، بل إن نبينا صلى الله عليه وسلم وجّه من يقف بالناس إمامًا أن يخفّف لأن فيهم الضعيف والمريض والكبير، أما إذا صلى لنفسه ليطول ما شاء؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفّ فإنّ منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء». رواه البخاري في صحيحه (٧٠٣) ورواه مسلمٌ في صحيحه (٤٦٧).

ويخبرنا صلى الله عليه وسلم عن هذا الأجر العظيم لكل من كان رفيقًا بالمسلمين ويسعى في تفريج همومهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَفَسَ عن مؤمنٍ كربَةً من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربَةً من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسرٍ يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا

والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». رواه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).

أيها الأحبّة: إنّ الجنّة يدخلها القريب الهين السهل.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين سهل». رواه الترمذي في سننه (٢٤٨٨) وأحمد (٣٩٢٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٣٨).

وإن كان حديثنا عن الحلم والرفق فلا بد أن نتحدث عن حلم ورفق صاحب القلب الرحيم الرفيق صلى الله عليه وسلم، فعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفرٍ من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان رحيماً رقيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: «ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلُّوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤدّن لكم أصدكم وليؤمكم أكبركم». رواه البخاري في صحيحه (٦٢٨) ورواه مسلم في صحيحه (٦٧٤).

فلنتعلم من صاحب القلب الرفيق الرحيم كيف يكون التعامل مع الناس؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم مدرسة وحده، وأختم بهذا الموقف العطر الذي يبيّن كيف كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن عائشة رضي

الله عنها أنّ يهوداً أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السّام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش.

قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟! قال: أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيُستجاب لي فيهم ولا يُستجاب لهم فيّ. رواه البخاري في صحيحه (٦٠٣٠) ومسلم في صحيحه (٢١٦٥).

صلوات ربي وسلامه عليك سيدي يا رسول الله، علّمتنا كيف يكون الرفق بل علمت الدنيا كلها هذا الخلق العظيم، أيها الأعبة: أسأل الله العلي القدير أن يرزقنا الحلم والرفق مقتدين بسيد البشر أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنّه وليّ ذلك والقادر عليه؛ اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرّ ما قضيت.. اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حقّ تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنّا، ربّنا آتينا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار.. وصلّ اللهم على سيدنا محمد النبيّ الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

* صُورٌ من رفق النبي صلى الله عليه وسلم *

الجمعة: ٢٥ من المحرم ١٤٣٥هـ - ٢٩ من نوفمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ضرب المثل الأعلى في الرفق والذي ينبغي أن يكون مصباحًا ينير لنا الطريق، أيها الأحبة الكرام: روت لنا أمُّ المؤمنين عائشة هذه الرواية الطيبة والتي تبين لنا رفق النبي صلى الله عليه وسلم، قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشدُّ ما لقيت منهم يوم العَقَبَة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يُجِبني إلى ما أردت؛ فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إنَّ الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

قال: فناداني ملك الجبال وسلَّم عليَّ. ثم قال: يا محمد إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشركُ به شيئاً». رواه البخاري في صحيحه (٣٢٣١) ومسلم في صحيحه (١٧٩٥).

ولقد بَوَّب الإمام مسلم بابًا وتحتَه جملةً من الأحاديث قال: باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين.

ومع كل هذا كان نبينا الكريم رفيقًا بهم يرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يؤمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً.

حقاً أيها الأحبة: إنه الرفق.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساءٌ من قريش يكلمنه ويستكثرنه عاليهً أصواتهن، فلما استأذن عمر قُمن يتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك؛ فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبت من هؤلاء اللاتي كُنَّ عندي فلما سمعنَ صوتك ابتدرن الحجاب!». قال عمر: فأنت يا رسول الله أحقُّ أن يهبن!

ثم قال عمر: أيُّ عدواتٍ أنفسهنَّ! أتُهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلن: نعم. أنت أغلظ وأفظُّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قطُّ سالكاً فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجِّك. رواه البخاري في صحيحه (٣٢٩٤) ومسلم في صحيحه (٢٣٩٦).

* وأقول لحضراتكم: إِنَّ الإمام النووي يقول عن قول (عالية أصواتهن) «قال القاضي: يُحتمل أن هذا قبل النهي عن رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم، ويُحتمل أن عُلُو أصواتهن إنما كان باجتماعها لا أن كلام كل واحدةٍ بانفرادها أعلى من صوته صلى الله عليه وسلم». من صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء الثامن صفحة ١٤٦) وفي فتح الباري نحوه وزيادة انظر (المجلد السابع صفحة ٥٢).

* أيها الأجبّة الكرام: الحديث يدل على رفق النبي صلى الله عليه وسلم، فما أجمل أن نقندي به عليه الصلاة والسلام؛ أين نحن من هذا أيها الكرام؟ لو دخل الرفق في أقوالنا وأفعالنا لتغيّر الحال؛ اسمعوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم لتروا كيف كان رفق النبي صلى الله عليه وسلم وشفقته بأمّته، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لأدخل الصلاة أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأخفّف، من شدة وجد أمّه به». رواه البخاري في صحيحه (٧١٠) ومسلم في صحيحه (٤٧٠).

وهذا فيه دليل على الرفق بالمؤمنين ومراعاة مصلحتهم. وفيه جواز صلاة النساء مع الرجال في المسجد، وأنّ الصبي يجوز أن يُدخله المسجد، وإن كان الأولى أن ننزّه المسجد عن من لا يؤمن منه الحدث.

أيها الإخوة الكرام: هذا هو الرفق، يُعلّمنا إياه نبينا صلى الله عليه وسلم.

* وهذه أيضاً صورة من صور رفق النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عزّ وجل في إبراهيم: «رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي». (إبراهيم: ٣٦) الآية.

وقال عيسى عليه السلام: «إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ». (المائدة: ١١٨).

فرفع يديه وقال: «اللهم أُمَّتِي أُمَّتِي» وبكى. فقال الله عزّ وجل: يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله؛ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال، وهو أعلم. فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إِنَّا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. رواه مسلم في صحيحه (٢٠٣).

أيها الأحبة الكرام: انظروا إلى رفق النبي صلى الله عليه وسلم بأتمته وشفقته عليها، وأقول لحضراتكم بمناسبة هذا الحديث الشريف:

لقد جمع هذا الحديث فوائد متعددة منها:

* أولاً: بيان شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته.

* ثانيًا: استحباب رفع اليدين في الدعاء.

* ثالثًا: البشارة العظيمة لأمة النبي صلى الله عليه وسلم بما وعدها الله عزَّ وجل بقوله: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك.

صلُّوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم فبسبب شفقته حصلت البشارة العظيمة للأمة.

وهذا موافق لقوله عز وجل: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى. في الجزء الثاني من شرحه لصحيح مسلم (صفحة ٦٧).

أيها الأحبة الكرام: إنَّ ديننا دين الرفق ودين اليُسْر لا العُسْر والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخَيِّر بين أمرين إلا اختار الأيسر، وهذا من كمال رفقته صلى الله عليه وسلم، فعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: ما خَيَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً؛ فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تُتْهَك حرمة الله عز وجل). رواه البخاري في صحيحه (٣٥٦٠) ومسلم في صحيحه (٢٣٢٧).

في هذا الحديث استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروهًا فلننتبه جيدًا للمعنى، أيُّها الأعبة الكرام: هذه صورٌ من رفق النبي صلى الله عليه وسلم وأقول: إنها نقطةٌ في بحر رفقهِ صلى الله عليه وسلم، فهو عليه الصلاة والسلام مَعِينٌ لا يَنْضِب، وأولى بنا أن نقتدي به في أقواله وأفعاله، وأن نتعامل مع الناس برفقٍ ولا نحتدَّ عليهم في التعامل معهم.

كونوا رفقاء.. تحلُّوا بهذا الخلق العظيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الخاتم الأمين وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛ فله درُّ من قال:

يخاطبني السفيه بكلِّ قُبْحٍ * فأكرهُ أن أكونَ له مُجيباً

يزيدُ سفاهَةً فأزيدُ حِلْمًا * كعودٍ زادهُ الإحراقُ طيباً

أيها الأحبّة الكرام: الأصل أن يكون الرفقُ في كل شيءٍ ومع كل الناس، وهناك مجالاتٌ للرفق نكتفي بمجالٍ واحدٍ وإن شاء الله تعالى نكمل في اللقاء القادم.

* فمن مجالات الرفق: الرفق بالوالدين:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَمَيْنِ إِنَّ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَّا الْكٰفِرِينَ». (لقمان:

١٤).

* أيها الإخوة الكرام: إنَّ المولى سبحانه وتعالى عَهَدَ إلينا بوصيةٍ سيسألنا عنها هل حفظناها أم لا؟

وصانا بالوالدين بأن نُحسن إليهما بالقول اللين والكلام الطيب والتواضع لهما وإكramهما، ويبيِّن لنا ربُّ العزَّة تبارك وتعالى أنه إليه المصير، أي سترجع أيُّها الإنسان إلى الله عزَّ وجل ويسألك: هل قمت بهذه الوصية أم ضيعتها؟

ما أعظم ديننا الذي يحُثنا على طاعة الوالدين!

«وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. قال: فهل لك من والديك أحدٌ حيٌّ؟ قال: نعم بل كلاهما. قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما». رواه مسلم في صحيحه (٢٥٤٩).

أيها الأُحبة الكرام: إنَّ طاعة الوالدين لها ثوابٌ عظيمٌ إلا في الشِّرك والمعصية.

قال تعالى: «وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا». (لقمان: ١٥).

أيها الأعبة الكرام: إن من أعظم البرِّ بالوالدين أن يسعى الابن لإنقاذهما من النار وأن يأخذ بأيديهما إلى الجنة، فهذا هو أبو هريرة رضي الله عنه يبذل كل جهده لهداية أمه المشركة.

قال أبو هريرة: «كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره؛ فادعُ الله أن يهدي أم أبي هريرة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اهدِ أمَّ أبي هريرة.

فخرجت مستبشرةً بدعوة نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم.

فلما جئت فُصرت إلى الباب فإذا هو مجافٍ -معنى مجافٍ مُغلق- فسمعت أمي حَسْفَ قَدَمَيَّ، فقالت: مكانك يا أبا هريرة.

وسمعتُ خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعَجَلْتُ عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

قال: فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله، أبشركم قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي

فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا.

قال: قلت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يحبني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا.

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم حببْ عبْدك هذا -يعني أبا هريرة- وأمه إلى عباده المؤمنين، وحببْ إليهم المؤمنين.

فما خُلِقَ مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحببني». رواه مسلم في صحيحه (٢٤٩١).

أيها الأحبة الكرام: أسأل الله العلي القدير أن يوفّقنا لما يحبه ويرضاه فهو ولي ذلك والقادر عليه، اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت.. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنّا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.. آمين آمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مجالاتُ الرفق

الجمعة: ٣ من صفر ١٤٣٥هـ - ٦ من ديسمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ إنه من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه من خلقه وحبيبه، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمَّة وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عَنَّا خير ما جازيت به نبيًّا عن قومه ورسولًا عن أمته.

أما بعد؛ فإننا قد ختمنا حديثنا الماضي بالحديث عن مجالٍ من مجالات الرفق وهو الرفق بالوالدين، واليوم بإذن الله تعالى نُكمل الحديث.

فمن مجالات الرفق: الرفق بالزوجة والأولاد:

أيها الأُحِبَّة الكرام: لقد قال الله رب العالمين في كتابه الكريم: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ». (النساء: ١٩).

يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «قوله تعالى: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» أي طَيَّبُوا أقوالكم لهنَّ وحسَّنوا أفعالكم وهَيَّأْتكم بحسب

قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى: «وَأَهْنَنَّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك، قالت: سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني فقال: «هذه بتلك». من تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (الجزء الثاني ١٤٥).

انظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم العظيم في تصرفه الرفيق مع زوجته، ولقد أوصانا نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم بالنساء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء». رواه البخاري في صحيحه (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨).

أيها الأحبة الكرام: يقول الإمام النووي: «وفي هذا الحديث ملاطفة النساء والإحسان إليهن والصبر على عوج أخلاقهن واحتمال ضعف عقولهن، وكراهة طلاقهن بلا سبب، وأنه لا يُطمع باستقامتها والله أعلم». صحيح

مسلم بشرح النووي (الجزء الخامس صفحة ٢٤٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَفْرَكُ مؤمن مؤمنة إن كَرِهَ منها خُلُقاً رضي منها آخر». رواه مسلم ١٤٦٩.

فينبغي للمسلم ألا يبغضها؛ لأنه إن وجد فيها خُلُقاً غير طيبٍ وجد فيها خُلُقاً مرضياً، وعن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله: ما حقُّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه، ولا تُقَبِّح، ولا تهجر إلا في البيت». رواه أبو داود (٢١٤٢) وابن ماجه (١٨٥٠) وحسَّنه الألباني رحمه الله وقال: حسن صحيح.

انظروا إلى وصايا النبي صلى الله عليه وسلم بالزوجة: أن تطعمها إذا طعمت، وإذا اكتسيت فعليك أن تكسوها ولا تضرب وجهها ولا تقبح، وإذا أردت أن تهجر فلا تهجر إلا في البيت عسى الود أن يعود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خُلُقاً». رواه الترمذي (١١٦٢) وأبو داود (٢٦٨٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٢٣).

فأكمل المؤمنين في إيمانهم أحسنهم في خلقهم وخير الناس من كان خيرهم

لأهله، أيها الأُحِبَّة الكرام: إنكم لا تنفقون نفقةً أردتم بها وجه الله إلا أخذتم الأجر من الله سبحانه وتعالى، حتى ما تجعلون في فم الزوجات يُؤجركم الله عليه، وهذا بنص كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: «وإنَّك لن تُنْفِقَ نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك». رواه البخاري في صحيحه (٥٦) ومسلم (١٦٢٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دينارٌ أنفقته في سبيل الله، ودينارٌ أنفقته في رقبةٍ، ودينارٌ تصدَّقت به على مسكين، ودينارٌ أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك». رواه مسلم (٩٩٥).

* أيها الأُحِبَّة الكرام: إنَّ من مجالات الرفق أيضًا: الرفق بالجيران: قال الله ربِّ العالمين في كتابه الكريم: «وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ». (النساء: ٣٦).

قوله تعالى: «وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ» أي: الجار القريب الذي له حقان: حقُّ الجوار، وحقُّ القرابة، فله على جاره حقٌّ، وإحسانٌ راجع إلى العُرف، وكذلك عند قوله تعالى «وَالْجَارِ الْجُنْبِ» الذي ليس له قرابة، فيحسُن بالجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة، واللطف بالأقوال

والأفعال وعدم أذيته بقولٍ أو فعل.

أما قوله تعالى: «وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ» قيل الرفيق في السفر، وقيل: الزوجة وقيل: الصاحب مطلقاً.

قال في الجلالين: («وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ» الرفيق في سفر أو صناعة وقيل الزوجة). من تفسير الجلالين (صفحة ٨٤).

وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». رواه البخاري في صحيحه (٦٠١٥) ومسلم (٢٦٢٥).

وهذا من عظم حقِّ الجار على جاره، إننا نرى اليوم حقَّ الجار يكاد يكون معدومًا، تجد الجار يعتدي على حق جاره يزعجه بالأصوات العالية، ويؤذيه بالألفاظ القبيحة والتي يندى لها الجبين خجلًا، بل تجده يُلقي بالقاذورات على باب جاره أو على شرفة مسكنه؛ وإننا لله وإننا إليه راجعون..

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: وَمَنْ يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه» ومعنى بوائقه: شروره ومصائبه. الحديث رواه البخاري في صحيحه (٦٠١٦).

ولقد قال أيضًا صلوات ربِّي وسلامه عليه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره». رواه البخاري في صحيحه (٦٠١٩) ومسلم (٤٨).

فمن كان هذا وصفه وهو الإيمان بالله واليوم الآخر فلا بُدَّ من أن يُحسن إلى جاره، ولقد قال أيضًا صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذِ جاره». رواه البخاري في صحيحه (٦٠١٨) ومسلم (٤٧).

ومن مجالات الرفق أيضًا: الرفق بالضعفاء والمرضى:

فلقد كان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم كما صحَّ عنه أنه كان يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم، وكل ذلك تُلطفًا بهم وإيناسًا لهم، وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند رأسه، ويسأله كيف حاله وكان يشهد الجنائز للصلاة عليها، ولا ننسَ أيُّها الأحبَّة أن ندعو للمريض الذي نقوم بزيارته بهذا الدعاء: (أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يُشفيك) وهذا يقال سبع مرَّات.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله عز وجل من ذلك المرض». رواه أبو داود في سننه (٣١٠٦) وصححه الألباني رحمه الله.

أيها الأحبة الكرام: إنها معاني الإيمان السامية والتي نسأل الله عز وجل أن تتحلل بها، وبإذن الله نكمل مجالات الرفق بعد جلسة الاستراحة.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله وكفى، وسلاماً على عباده الذين اصطفى، وعلى خاتهم
المجتبى صلى الله عليه وسلم.
أما بعد؛ فمن مجالات الرفق أيضاً:

الرفق في الدعوة إلى الله:

لقد قال الله ربُّ العالمين لسيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام:
«اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَبَيِّنَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى *
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى». (طه: ٤٢-٤٤).

يقول العلامة السعدي في تفسيره عند قوله تعالى: «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا»
قال: (أي: سهلاً لطيفاً، برفقٍ ولينٍ وأدبٍ في اللفظ من دون فُحشٍ ولا
صلفٍ، ولا غلظة في المقال أو فظاظَةٍ في الأفعال. «لَعَلَّهُ» بسبب القول
اللين «يَتَذَكَّرُ» ما ينفعه فيأتيه «أَوْ يَخْشَى» ما يضرُّه فيتركه، فإنَّ القول
اللين داعٍ لذلك، والقول الغليظ منفرٌّ عن صاحبه). من تفسير تيسير

الكريم الرحمن للسعدي (صفحة 0٧٢).

فالدعوة بالرفق واللين أوقع في النفوس وأبلغ؛ والآية الكريمة التي ذكرتها آنفًا فيها عظةٌ، وهي أن فرعون مع عتوه واستكباره أمر الله موسى عليه السلام أن يخاطبه باللين والرفق، وهذا درسٌ لنا جميعًا أن نتلطّف بالناس، وأن تكون دعوتنا بالحكمة والموعظة الحسنه.

ومن مجالات الرفق أيضًا: الرفق عند تعليم الناس:

فلقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: بينما أنا أصليّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إليّ. فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصمتونني لكني سكتُ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي ما رأيت معلّمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه؛ فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: «إنّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن». رواه مسلم (0٣٧).

انظروا أيّها الأحبّة الكرام كيف كان رفق النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه، فأولى بنا أن نتّصف بالرفق أثناء تعليمنا الناس شيئًا حتى

يحبُّوا أن نعلمهم الخير، من مجالات الرفق أيضاً بالذواب:

الله سبحانه وتعالى كتب الإحسان على كل شيءٍ حتى على الذواب، فلا بد أن نرفق بها وأن نُحسن إليها كيف يكون ذلك؟ يخبرنا نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال هذا الحديث النبوي الشريف، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قَتَلْتُم فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُم فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وليُحَدِّدْ أَحَدَكُم شَفْرَتَهُ وليُرِحْ ذَبِيحَتَهُ». رواه مسلم في صحيحه (١٩٥٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتدَّ عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملاً حُفَّهُ ماءً ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له. قالوا: يا رسول الله وإنَّ لنا في البهائم أجرًا. فقال: «في كل كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ». رواه البخاري في صحيحه (٢٤٦٦) ومسلم (٢٢٤٤).

* أيُّها الأُحِبَّة الكرام: الرفق في كل شيءٍ يوصلنا إلى جنَّة ربنا عز وجل، الرفق أيُّها الأُحِبَّة ينمِّي روح المحبة بين الناس والتعاون فيما بينهم، الرفق

ينشئ مجتمعا سالما من الحقد، الرفق دليل على حكمة الرجل وترويه في أموره كلها.. أيها الأجيّة الكرام: أنعم بهذا الخلق الكريم، فاللهم ارزقنا هذا الخلق الكريم، اللهم وقنا لما تحبه وترضاه، اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم وارحم الأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجزاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنا يارب العالمين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

* اتق المحارم *

الجمعة: ١٠ من صفر ١٤٣٥هـ - ١٣ من ديسمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فإننا -بإذن الله تعالى- سنعيش سوياً مع حديثٍ عظيمٍ من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهنَّ أو يُعلِّم من يعمل بهنَّ؟ فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعَدَّ خمساً وقال: اتقِ المحارم تكنُ أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإنَّ كثرة الضحك تُميت القلب». رواه الترمذي في سننه (٢٣٠٥) وحسنه الألباني رحمه الله.

بَوَّبَ الإمام الترمذي لهذا الحديث باباً فقال: باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس.

* إنَّ رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قد حرص على إقامة مجتمعٍ سويٍّ وهدفه من ذلك الأخذ بيد هذا المجتمع إلى ما أراد الله عز وجل؛ لتحقيق به عزته، وتسمو مكانته، فأرشد الأمة إلى الطريق القويم الذي به تقوم الحضارة ويتحقق التقدُّم والرفق، وكذلك تتحقق المنزلة العالية المرجوة في الآخرة.

* ولقد جمع لنا نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف أمورًا لو تمسَّكنا بها لسرنا في حياتنا آمنين مطمئنين، فلا نجد

غلاً ولا حقداً ولا حسداً.

* أيها الأعبة الكرام: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتق المحارم تكن أعبد الناس» والمحارم جمع لكلمة (مَحْرَم) وهي كلمة تُطلق ويراد بها من يحرم على المسلم الزواج منهن، وهن من أشارت إليهن الآية الكريمة من سورة النساء.

قال تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا». (النساء: ٢٣).

كما تطلق ويراد بها كل ما حرّم الله عز وجل.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ

وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ». (الأنعام: ١٥١-١٥٢).

فيراد بالمحارم كل ما حرّم الله عز وجل.

يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء: تعالوا أتلق عليكم ما حرّم ربكم: ألا تُشركوا بالله شيئاً لا قليلاً ولا كثيراً، وبالوالدين إحساناً من الأقوال الكريمة والأفعال الحسنة، ولا تقتلوا أولادكم بسبب الفقر كما كان أهل الجاهلية يفعلون، وبئس ما كانوا يفعلون.

فالله عز وجل هو الذي يرزق الجميع، وكذلك لا تقربوا الفواحش الظاهرة منها والخفية والنهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، وكذلك لا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق كالزاني المحصن والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة، وتلكم وصية فاحفظوا وصيته.

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن أي إلا بالحال التي تصلح بها أموالهم حتى يبلغ أشده أي حتى يبلغ ويرشد ويعرف كيفية التصرف في الأموال برشدٍ، وأوفوا الكيل والميزان بالعدل والوفاء.

«لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»: يقول الحافظ ابن كثير: «أي: من اجتهد في أداء الحق وأخذه فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج

عليه». من تفسير القرآن العظيم (الجزء الثالث ٢١٦).

وإذا قلتُم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا.

* حَقًّا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: إِنِّهَا وَصَايَا عَظِيمَةٌ مِنْ رَبِّ عَظِيمٍ أَلَا فَلْنَعْمَلْ بِهَا وَلَا نَعْطَلْهَا فَاقْتِضَاءُ الْعِلْمِ الْعَمَلِ، وَرَسُولُنَا الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِينَا أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ وَقَايَةً وَتَقْدِيمَ التَّقْوَى عَلَى هَذِهِ الْوَصَايَا النَّبَوِيَّةِ؛ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ بَيَانٌ وَاضِحٌ إِلَى أَنْ الْأَسَاسَ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ الْمَجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ التَّقْوَى.

«اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ».

فَإِذَا قَامَ الْفَرْدُ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ التَّقْوَى كَانَ أَهْلًا لِلْخَيْرِ الَّذِي يَغْمُرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ الْكِرَامُ وَلَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا؛ فَعَزَّزْهَا فَإِنَّ، وَإِيَّاكُمْ وَمَحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى لَا تَتَّبَعُوا عَنْ نَعِيمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَحْنُ جَمِيعًا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَابِرُونَ سَبِيلٍ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ الَّتِي رَوَاهَا الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٦٤١٦).

وَلْنَعْلَمُ جَمِيعًا أَنَّ ارْتِكَابَ الْمَعَاصِي صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا أَوْ الْإِصْرَارَ عَلَيْهَا يَجْعَلُ صَاحِبَهَا فِي طَرِيقٍ مُقْفَرٍ يُؤَدِّي بِهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ إِلَى عَذَابٍ لَا يَتَحْمَلُهُ.

وَلَا نَنْظُرُ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ وَلَكِنْ نَنْظُرُ إِلَى مَنْ عَصَيْنَا، هُوَ اللَّهُ

جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ فَالَّذِي يَتَّقِي الْمَحَارِمَ هُوَ الَّذِي يَتَجَنَّبُ الشَّبَهَاتِ خَوْفًا مِّنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمَاتِ اسْتِبْرَاءً لِّدِينِهِ وَعِرضِهِ كَمَا بَيْنَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشَّبَهَاتِ، فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّبَهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ...». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٥٢) وَمُسْلِمٌ (١٥٩٩).

وَلَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ». (البقرة: ١٨٧).

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَلَا تَقْرُبُوهَا» أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهِ فَلَا تَفْعَلُوهَا؛ لِأَنَّ الْقُرْبَانَ يَشْمَلُ النَّهْيَ عَنِ فِعْلِ الْمَحْرَمِ بِنَفْسِهِ وَالنَّهْيَ عَنِ وَسَائِلِهِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ الْعَلَمَةُ السَّعْدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ. مِنْ تَفْسِيرِ تَيْسِيرِ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ (صَفْحَةُ ٧٨).

فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ؛ مَنْ قَامَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَاجْتَنَبَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَأَحْلَلَ الْحَلَالَ وَحَرَّمَ الْحَرَامَ يَقِينًا كَانَ لَهُ الْجِزَاءُ الْأَوْفَى مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ صَلَّى الْمَكْتُوبَاتِ وَصَامَ رَمَضَانَ وَأَحْلَلَ الْحَلَالَ وَحَرَّمَ الْحَرَامَ دَخَلَ جَنَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا بَيَّنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا مقامٌ رفيعٌ لمن يتقي الله عزَّ وجل.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ». (يونس: ٦٢-٦٤).

فأولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، أتعلمون أيها الأحبة الكرام لماذا؟

الجواب: لأنهم آمنوا إيمانًا جازمًا وكانوا يتَّقون، كانوا يخشون ربهم فهؤلاء لهم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولقد روى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» قال: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له. رواه الطبراني عن أبي الدرداء وهو حديثٌ صححه الألباني في صحيح الجامع

(٢٨٢٢) بلفظ: بُشْرَى الدنيا الرؤيا الصالحة.

فاللهم ارزقنا البُشرى في الدنيا والآخرة.. اللهم آمين.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وعلى خاتمهم
المجتبى صلى الله عليه وسلم.

أما بعد؛ فيقول رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الشريف
الذي نحن بصدده: «وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ» فمن قنع
بالقليل من الرزق استغنى عن الكثير من الخلق، ومن رضي بالقضاء صبر
على البلاء، ومن اعتصم بالله هُدِيَ إلى صراط مستقيم.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ الْكَرَامَ: إِنَّ الرِّضَا بِالْكَفَافِ يُوَدِّي إِلَى الْعَفَافِ؛ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ
الْفُضَلَاءُ: إِنَّ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا أَلْهَمَهُ الطَّاعَةَ، وَأَلْزَمَهُ الْقَنَاعَةَ.

إِنَّ الْقَانِعَ بِعَطَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي يَعِيشُ هَادئِ الْبَالِ، وَطَوْبَى لِمَنْ
هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كِفَافًا، وَهَذَا كَلَامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الَّذِي يَكْسُوهُ النُّورَ، فَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عَبِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «طَوْبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كِفَافًا،
وَقَنِعَ». رواه الترمذي (٢٣٤٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٣١).

بل إني أقول لحضراتكم: إذا أصبح الإنسان في أمنٍ وأمان، وبدنه بفضل الله

معافئ، وعنده قوتُ يومه فماذا يريد بعد ذلك؟! أيُّها الأَحَبَّةُ الكرام، إنَّ مَن هذا حاله جُمعت له الدنيا كلها، وهذا من كلام مشكاة النبوة، كلام رسول البشرية، كلام سيد ولد آدم رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه؛ فعن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافئ في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا». رواه الترمذي في سننه (٢٣٤٦) وابن ماجه (٤١٤١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٤٢).

أيُّها الأَحَبَّةُ الكرام: كونوا من أبناء الآخرة؛ عن مهاجر بن عمير قال: قال علي بن أبي طالب: «إن أخوف ما أخاف اتِّباع الهوى وطول الأمل، فأما اتِّباع الهوى فيصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة ألا وإن الدنيا قد ترَحَّلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ترَحَّلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل». الخبر حسن.

فعلينا أن نحرص على الآخرة لا الدنيا، ولله دُرٌّ مَن قال:

دع الحِرص على الدنيا * وفي العيش فلا تَطمع

* أيُّها الأَحَبَّةُ الكرام: الذي يسير على درب الحق هو الذي يعرف الله حق المعرفة ويطيعه فيما أمر به، وعرف الحق فاتبعه وعرف الدنيا حق

المعرفة فرفضها وعرف الآخرة فطلبها؛ أيُّها الأُحبة الكرام: إِنََّّ للحدِيث بقية إن شاء الله تعالى، اللهم ثبِّتْنا على الحق واليقين بك يا رب العالمين، اللهم بلِّغْنا جنتك بفضلِكَ وكرمك وجُودك وإحسانك يا أرحم الراحمين، اللهم اهدنا بفضلِكَ فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عَنَّا شرَّ ما قضيت، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات؛ اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حقَّ تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنا يا رب العالمين؛ ربنا آتِنا في الدنيا حسنَةً، وفي الآخرة حسنَةً، وقنا عذاب النار.. آمين آمين.. وصلِّ اللهم على سيدنا محمدِ النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلِّم.

* أحسن إلى جارك وأحب للناس ما تحب لنفسك *

الجمعة: ١٧ من صفر ١٤٣٥هـ - ٢٠ من ديسمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا؛ إِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل
عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»

(الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فما زلنا مع حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارضْ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسنِ إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تُكثِر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب». رواه الترمذي في سننه (٢٣٠٥) وحسنه الألباني رحمه الله.

ولقد تحدثنا في اللقاء السابق عن قوله صلى الله عليه وسلم: «اتقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارضْ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس...». واليوم بإذن الله تعالى نُكمل الحديث.

يقول نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم: «وأحسنِ إلى جارك تكن مؤمناً».

أيها الإخوة الكرام: الجار لغةً: (المجاور في المسكن). من المعجم الوسيط (صفحة ١٤٦).

أيها الأحبة الكرام: إنَّ الإحسان إلى الجيران يكون بحسن معاملتهم، وبحفظ أموالهم وأعراضهم، وإبعاد الأذى عنهم؛ لأنَّ الإسلام أيُّها الأحبة سلامٌ على الفرد وسلامٌ على المجتمع، وفي ظلاله يأمن العبد على جميع شئونه، وقد يكون الإحسان إلى الجار بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى

حُسْن العشرة، وقد أوصانا الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الجيران فقال: «وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا». (النساء: ٣٦).

ولقد نفى نبينا صلى الله عليه وسلم الإيمان عمَّن يسيء معاملة الجيران فقال مُقْسِمًا: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه». رواه البخاري في صحيحه (٦٠٦) وهو من حديث أبي شريح.

ولقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم إكرام الجار، والإحسان إليه علامة من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو هريرة: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوذُ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ». رواه البخاري في صحيحه (٦٠٩) ومسلم في صحيحه (٤٧).

يقول السمرقندي في كتابه تنبيه الغافلين: «تمام حُسن الجوار في أربعة أشياء: أولها: أن يواسيه بما عنده.

الثاني: أن لا يطمع فيما عنده.

الثالث: أن يمنع أذاه عنه.

الرابع: أن يصبر على أذاه».

من تنبيه الغافلين للسمرقندي (صفحة ١٠٢).

فالصبر على أذى الجار من حُسن الجوار، ولذلك ليس حُقُّ الجوار كَفَّ الأذى عن الجار فقط؛ بل احتمال الأذى، ولا يكفي احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف كما قال الإمام الغزالي في الإحياء. فاجتهدوا أيها الإخوة الكرام أن تكونوا من خير الناس عند الله تعالى فخير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره.

أيها الأجبّة الكرام: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأحب للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مسلمًا».

إنَّ رسولنا صلى الله عليه وسلم بعد أن قوّى العلاقة الإنسانية بين الجيران بعضهم مع بعض؛ ليعيش المجتمع المسلم في أمنٍ وأمانٍ وفي قوةٍ وترابطٍ، أراد عليه الصلاة والسلام أن يقوّى العلاقة بين كل من يشهد الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله مهما تباعدوا؛

ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». رواه البخاري في صحيحه (١٣) ومسلم (٧١) وهو من حديث أنس بن مالك.

لقد تعلم الصحابة الكرام هذا المعنى من النبي صلى الله عليه وسلم حتى كانوا يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم، بل إنهم كانوا يؤثرونهم على أنفسهم وهذا مسجل بحروفٍ من نور على جبين التاريخ، حيث كان الأنصار رضوان الله عليهم يؤثرون المهاجرين على أنفسهم وقد سجل القرآن الكريم هذا المعنى.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». (الحشر: ٩).

«وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ» هم الأنصار الذين سكنوا دار الهجرة قبل المهاجرين.

«يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» قال ابن كثير عندها: «أي: من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم». من تفسير القرآن العظيم (الجزء الثامن صفحة ٤٤).

«وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» أي ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به، ولا يحسدونهم ويفضلون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم حتى ولو كان بهم حاجة.

هذا أيها الإخوة هو الإيمان، هذا هو الخلق الطيب، هذه نفس المؤمن النقية الطاهرة التي تفضل غيرها على نفسها وهذا نسميه خلق الإيثار أي تفضيل غيرنا على أنفسنا.

تأملوا معي هذا الموقف الإيماني الرائع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى رجلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أصابني الجهد. فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا رجلٌ يُضَيِّفُهُ هذه الليلة، يَرْحَمُهُ اللهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيِّفِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَدْخِرِيهِ شَيْئاً، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قَوْتُ الصَّبِيَّةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَتَوَمِّمِيهِمْ، وَتَعَالِيْ فِإَطْفِئِي السَّرَاجَ وَنَطُويْ بَطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ -أَوْ صَحِكَ- مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

عَزَّ وَجَلَّ: «وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ». رواه البخاري في صحيحه (٤٨٨٩) ومسلم (٢٠٥٤).

أيها الأحبة الكرام: إنه خُلِقَ الإيثار أي تفضيل الآخرين، ألا فلنعمل بهذا الخلق الكريم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله وكفى وسلاماً على عباده الذين اصطفى وعلى خاتمهم المجتبي صلى الله عليه وسلم.

أما بعد؛ فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولا تُكثِر من الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب». ولقد نبّه الرسول صلى الله عليه وسلم على خطورة الأمر الذي يجعل المسلم ينشغل بالآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً». رواه البخاري في صحيحه (٦٤٨٥) ورواه الترمذي في سننه (٢٣١٣) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لكن لا يجب أن يكون المسلم حزيناً كاسف البال مهموماً بالدنيا بل عليه

أن يروّج عن نفسه، لقد كانت سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم نموذجًا متكاملًا للشخصية المسلمة المثالية؛ فهو في خلوته يصلّي ويطلب الخشوع والبكاء حتى تتورم قدماه، وهو في الحقّ لا يبالي بأحدٍ في جنب الله، ولكنه مع ذلك بشرٌ يحبُّ الطيبات ويتسم ويداعب ويمزح ولا يقول إلا حقًا.

فعن الحسن قال: أتت عجوزٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله لي أن يدخلني الجنّة، فقال لها: «يا أمّ فلانٍ إنّ الجنة لا يدخلها عجوز». قال: فولّت تبكي. حديث صحيح أخرجه الترمذي في الشمائل (٢٠٥) عن الحسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٨٧) من مختصر الشمائل (صفحة ١٢٨).

فبيّن النبي صلى الله عليه وسلم غرضه: إنّ العجوز لن تدخل الجنة عجوزًا، بل ينشئها الله خلقًا آخر فتدخلها شابةً بكرًا. قال الله تعالى: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا». (الواقعة: ٣٥-٣٧).

قال عليه الصلاة والسلام: أخبروها أنّها لا تدخلها وهي عجوز، إنّ الله تعالى يقول: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا». من مختصر الشمائل (صفحة ١٢٨).

وعن أنس أن رجلاً استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم -أي طلب منه دابةً يحمله عليها- فقال: إني حاملك على ولد ناقيةٍ. فقال: وما أصنع بولد الناقية؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وهل تلد الإبل إلا النوق». رواه الترمذي (٤٩٩٨) والترمذي (١٩٩١) وصححه الألباني رحمه الله في مختصر الشمائل (٢٠٣).

وعن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله إنك تُداعبنا، قال: «إني لا أقول إلا حقاً». رواه الترمذي (١٩٩٠) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٧٢٦).
انظروا إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ومزاحه!.

وعن أنس بن مالك قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل علينا ولي أخٌ صغير يُكْتَى أبا عمير، وكان له نُعْر يلعب به، فمات فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرآه حزيناً فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نُعْره، فقال: يا أبا عمير ما فعل النعير». رواه البخاري في صحيحه (٦١٢٩) ومسلم (٢١٥٠) وأبو داود (٤٩٦٩).

* أيها الأحبة الكرام: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في وصيته: «ولا تُكثِر من الضحك» ولم يقل: «لا تضحكوا» حتى يدلنا على أن الضحك مستحبٌ بلا إسرافٍ أو تكلفٍ فلقد كان صلى الله عليه وسلم أكثر تبسُّماً وضحكاً في وجوه أصحابه، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداءً به

وتوقيراً له.

فعن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم كثيراً. كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون ويتسم صلى الله عليه وسلم». رواه مسلم في صحيحه (٢٣٢٢).

* أيها الأئمة الكرام: اقتدوا بنبيكم وسيروا على هديه تفلحوا، ديننا عظيم أيها الأئمة؛ أسأل الله عز وجل أن تتخلق بأخلاقه فهو ولي ذلك والقادر عليه.. اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت؛ اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات؛ اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنا، ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار؛ آمين آمين.. وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

حُسن الظنِّ بالله عزَّ وجلَّ

الجمعة: ٢٤ من صفر ١٤٣٥هـ - ٢٧ من ديسمبر ٢٠١٣م

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ إِنَّه من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يُؤمن أحدكم إلا وهو يُحسن الظنَّ بالله عزَّ وجلَّ». رواه مسلم (٢٨٧٧) وأبو داود (٣١١٣) وابن ماجه (٤١٦٧).

أيُّها الأُحِبَّة الكرام: نعيش مَعًا في رحاب هذا الحديث النبويِّ الشريف الذي يحدثنا عن الظن، فما الظن أيُّها الأُحِبَّة؟

يقول الراغب في مفرداته: «الظنُّ: اسمٌ لما يحصل عن أمارَةٍ، ومتى قويت أدَّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدًّا لم يتجاوز حدَّ التوهُّم». مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (صفحة ٤٠٣).

ويقول صاحب مختار الصحاح: «الظنُّ» العلم دون يقين، وقد يوضع موضع العلم...». معجم مختار الصحاح للرازي (صفحة ٢٢٦).

وجاء في المعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية: («ظَنَّ» الشيء ظنًّا: علمه بغير يقين وقد تأتي بمعنى اليقين. وفي التنزيل العزيز: «قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ» من المعجم الوسيط (صفحة ٥٧٨).

فالظنُّ يدل على معنيين: أحدهما اليقين والآخر الشك.

فقوله تعالى: «الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ». (البقرة: ٤٦).

وقوله تعالى: «قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ» (البقرة: ٢٤٩). من اليقين.

وأما الظن بمعنى الشك يقال: ظننت الشيء إذا لم تتيقنه؛ يقول ابن منظور في لسان العرب: (الظنُّ شكٌّ ويقين إلا أنه ليس بيقين عيان، إنما هو يقين تدبُّر، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم...).

وفي التنزيل العزيز: «إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ» (أي علمت). لسان العرب لابن منظور (الجزء السادس صفحة ٣٠، ٣١).

وعلى هذا فقد ورد الظنُّ في القرآن الكريم على أوجهٍ: بمعنى اليقين كما في قوله تعالى: «وَوَظَنَّا أَنَّهُ الْفِرَاقُ» (القيامة. ٢٨).

وقد يأتي بمعنى الشكِّ والتهمة كقوله تعالى: «إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» (يونس: ٣٦).

وكقوله تعالى: «وَوَظَنَّا ظَنًّا سَوْءًا» (الفتح: ١٢).

وقد يأتي بمعنى حسب كما في قوله تعالى: «إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ» (الانشقاق: ١٤).

والظنُّ في كثيرٍ من الأمور مذموم -كما قال الراغب في مفرداته- ولذلك قال تعالى: «وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا» (يونس: ٣٦).

«وَإِنَّ الظَّنَّ». (النجم: ٢٨). من مفردات ألفاظ القرآن للراغب (صفحة ٤٠٤).

وجاء في القراءات العشر المتواترة في قوله تعالى: «وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِضَينٍ» قُرئت كلمة (بِضَينٍ): (بِظَينٍ). من القراءات العشر المتواترة (صفحة ٥٨٦).

وكما جاء في مفردات الراغب بظنين أي بمتهم. (صفحة ٤٠٤).

* أيها الأحبة الكرام:

إِنَّ الظَّنَّ لا يخرج عن أمور خمسة:

الأول: الظنُّ المُحرَّم، وهو سوء الظن بالله، ويقابله وجوب حُسن الظن بالله.

الثاني: حُرمة سوء الظن بالمسلمين، والمطلوب حُسن الظن بهم.

الثالث: الظنُّ المُباح، وهو الذي يعرض في قلب المسلم في أخيه بسبب ما يُوجب الريبة، وهذا الظنُّ لا يحقَّق.

الرابع: الظنُّ المندوب إليه، وهو حُسن الظن بالأخ المسلم، وعليه الثواب.

الخامس: الظنُّ المأمور به، وهو الظنُّ فيما لم يُنص عليه دليلٌ يوصلنا

إلى العلم، وقد تعبدنا الله بالاختصار على الغالب الظني فيه، كقبول شهادة العدول، وتحري القبله، وتقويم المستهلكات ونحو ذلك (من نضرة النعيم).

* أيها الأُحبة الكرام: إنَّ حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي نحن بصحبته يجعل المسلم يظنُّ أنَّ موله سيرحمه ويعفو عنه؛ ولأنَّ حُسن الظن بالله سبحانه وتعالى يبعث صاحبه على فعل الطاعات، وترك المنكرات وهذا من حُسن الظن بالله، فحُسن الظن بالله يبعث على العمل الصالح.

ولقد جاء في القرآن الكريم آياتٌ في حُسن الظن:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». (التوبة: ١١٨).

قال العلامة السعدي عند قوله تعالى: «وَوَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ» (أي تيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا ينجي من الشدائد، ويلجأ إليه إلا الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا بالله ربهم، وفرُّوا منه إليه). من تفسير تيسير الكريم الرحمن (صفحة ٣٩٤).

الشاهد هنا أن (ظنوا) بمعنى تيقنوا.

وقال تعالى أيضًا في كتابه الكريم: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». (الزمر: ٥٣).

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره: «هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة لأنَّ الشرك لا يُغفر لمن لم يُتَّب منه». من تفسير القرآن العظيم لابن كثير (الجزء السابع صفحة ٦٩).

ولذلك قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ». (النساء: ٤٨).

فالله عزَّ وجل يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، أما الإشراك بالله فلا يغفره.

وقال تعالى: «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا». (النساء: ١١٠).

هذه الآية بُشِرى لمن عمل السيئات ومن أسرف على نفسه، فإذا استغفر هذا المسرف استغفارًا تامًّا يستوجب الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود للذنب أبدًا، وإذا كانت هناك حقوق للناس ردّها.. غفر الله عزّ وجل له.

جاء عند الإمام القرطبي في تفسيره: «...وروي عن علي رضي الله عنه قال: كنتُ إذا سمعتُ حديثًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله به ما شاء، وإذا سمعته من غيره حلفته، وحدثني أبو بكر -وصدق أبو بكر- قال: ما من عبدٍ يذنب ذنبًا ثم يتوضأ، ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له، ثم تلا هذه الآية «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا». الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (الجزء الخامس ٢٨٧).

والحديث الذي روي عن علي صحيح رواه أبو داود في سننه (١٥٢١) والترمذي (٣٠٦) وابن ماجه (١٣٩٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال ربُّ العزة جلَّ وعلا: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، إن ظنَّ خيرًا فله وإن ظنَّ شرًّا فله». رواه أحمد في مسنده (٨٨٣٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٥).

أي يعامله الله عز وجل على حسن ظنه ويفعل ما يتوقعه منه سبحانه وتعالى، فإن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، والمقصود هنا أيها الأعبة أن نغلب جانب الرجاء، فأحسنوا الظن بالله، أحسنوا الظن بربكم مع عمل الصالحات وترك المنكرات، فإن من أعظم النعم أن يحسن العبد ظنه بالله عز وجل، فلقد روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ، ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». رواه البخاري في صحيحه (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

يقول الحافظ ابن حجر عند قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا عند ظن عبدي بي» (أي قادرٌ على أن أعمل به ما ظن أني عاملٌ به). فتح الباري بشرح صحيح البخاري (الجزء الثالث عشر صفحة ٤٣٢).

وظنُّ المغفرة أيها الإخوة مع الإصرار على ذنب جهل؛ فلنحترس ولننتبه.

رزقنا الله فهم مراده وأسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لحسن الظن به مع العمل الصالح؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمدُ لله وكفى وسلامٌ على عباده الذين اصطفى وعلى خاتمهم
المجتبى صلوات ربِّي وسلامه عليه.

أما بعد؛ فإنَّ رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم كان حسنَ الظنِّ برَّبِّه عزَّ وجل، ويكفيه أنَّه عندما كان في الغار قال له أبو بكر رضي الله عنه: «لو أنَّ أحدَهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: ما ظنُّك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما». رواه البخاري في صحيحه (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١).

هذا هو حُسن الظنِّ بالله، فكن على يقينٍ بأنَّ الله سبحانه وتعالى معك أيها الأخ الكريم طالما أنَّك تحسن الظن بربك مع العمل الصالح فكما قُلتُ: إنَّ حسن الظن بالله يبعث على فعل الصالحات وترك المنكرات.

* أيُّها الأحبَّة الكرام: إننا لو علمنا ما عند الله من العقوبةِ ما طمَع واحدٌ منا في جنَّته، ولو علم الكافر بما عند الله من الرحمة ما يئس من رحمته أحد؛ دلَّنا وأرشدنا رسولنا صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو يعلم المؤمن

ما عند الله من العقوبة ما طَمَعَ بجنته أحدٌ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قَنَطَ من جنته أحدٌ». رواه مسلم (٢٧٥٥).

أيها الأحبة الكرام: إِنَّ وصية النبي صلى الله عليه وسلم التي نحن بصددها «لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحسِنُ الظنَّ بالله عزَّ وجلَّ». رواه مسلم (٢٨٧٧).

تحثنا على حسن الظن بالله تعالى، ولذلك نجد أنَّ الإمام مسلماً بَوَّبَ باباً في صحيحه قال: (باب الأمر بحُسنِ الظنِّ بالله تعالى عند الموت). يقول الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: «قال العلماء: هذا تحذيرٌ من القنوط، وحثٌّ على الرجاء عند الخاتمة». صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء التاسع صفحة ١٧٨).

وأقول لحضراتكم: إِنَّ حُسنَ الظنِّ بالله تعالى هو أن نَظنَّ أنه يرحمنا ويعفو عنا.

* أَيُّهَا الأحبة الكرام: إِنَّ العبد إذا أذنب وأراد أن يتوب فعليه أن يملأ قلبه ثقةً في الله سبحانه وتعالى أنه سيغفر له ذنوبه.

قال تعالى: «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا». (النساء ١١٠).

وعن أنس بن مالك قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله: يا ابن آدم إنَّك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبُك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنَّك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرةً». رواه الترمذي في سننه وهو صحيح (رقم ٣٥٤٠).

أيها الأحبة الكرام:

أحسنوا الظنَّ بربكم فالله عزَّ وجلَّ غفورٌ رحيمٌ واسع المغفرة واسع الرحمة؛ أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه فهو ولي ذلك والقادر عليه، اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت؛ اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وجزاء همومنا وأحزاننا، اللهم ارزقنا حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيك عنَّا يارب العالمين، اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين، ربنا آتانا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلم.

حُسن الظنِّ بالمسلمين

الجمعة: ٢ من ربيع أول ١٤٣٥هـ - ٣ من يناير ٢٠١٤م

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ إِنَّه من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد؛ فقد تحدّثنا في اللقاء السابق في الظنّ فعرفناه، ثم تحدّثنا في إحسان الظن بالله واليوم بإذن الله تعالى نُكمل الحديث؛ نتحدث اليوم في حُسن الظن بالمسلمين، والذي من شأنه أن يعيش المجتمع في أمنٍ واستقرار ومحبة، لقد علّمنا رسولنا صلى الله عليه وسلم كيف نُحسن الظنّ بالمسلمين من خلال مواقفٍ عمليةٍ مشرقةٍ تحدثت عنها سنّته المطهرة.

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمر على الصدقة، ف قيل: مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْعَبَّاسُ عُمَرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا، قد احتبس أذراعه وأعتاده في سبيل الله، وأما العباس فهي عليٌّ ومثلها معها. قال: يا عمر، أما شَعَرْتَ أَنَّ عُمَرَ الرَّجُلَ صَنُو أَبِيهِ». رواه البخاري في صحيحه (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣).

يقول الإمام النووي: «قوله (منع ابن جميل) أي منع الزكاة وامتنع من دفعها. قوله صلى الله عليه وسلم: (ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله). قوله: ينقم بكسر القاف وفتحها؛ والكسر أفصح.

قوله صلى الله عليه وسلم: (وأما خالدٌ فإنكم تظلمون خالدًا، فقد احتبس أذراعه وأعتاده في سبيل الله) قال أهل اللغة: الأعتاد: آلات الحرب من السلاح والدواب وغيرها، والواحد عَتَادٌ بفتح العين، ويُجمع على أعتاد وأعتدة.

ومعنى الحديث: أنهم طلبوا من خالد زكاة أعتاده ظنًا منهم أنها للتجارة، وأنَّ الزكاة فيها واجبة، فقال لهم: لا زكاة لكم عليّ، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ خالدًا منع الزكاة، فقال لهم: إنَّكم تظلمونه؛ لأنَّه حبسها ووقفها في سبيل الله قبل الحول عليها، فلا زكاة فيها؛ ويُحتمل أن يكون المراد: لو وجبت عليه زكاةٌ لأعطاها ولم يشح بها؛ لأنه قد وقف أمواله لله تعالى متبرعًا فكيف يشح بواجب عليه؟ واستنبط بعضهم من هذا وجوب زكاة التجارة، وبه قال جمهور العلماء من السلف والخلف خلافًا لداود وفيه دليلٌ على صحَّة الوقف أو صحة وقف المنقول، وبه قالت الأمة بأسرها إلا أبا حنيفة وبعض الكوفيين. وقال بعضهم: هذه الصدقة التي منعها ابن جميل وخالد والعباس لم تكن زكاةً إنما كانت صدقة تطوُّعٍ... قال ابن القصار من المالكية: وهذا التأويل أليق بالقصة فلا يُظنُّ بالصحابة منع الواجب...

وقال القاضي: لكن ظاهر الأحاديث في الصحيحين أنها في الزكاة لقوله: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمر على الصدقة، وإنما كان يبعث

في الفريضة، قلت: الصحيح المشهور أنّ هذا كان في الزكاة لا في صدقة التطوّع، وعلى هذا قال أصحابنا وغيرهم.

قوله صلى الله عليه وسلم: (هي عليّ ومثلها معها) معناه: أنّي تسلفت منه زكاة عامين، وقال الذين لا يجوزون تعجيل الزكاة: معناه: أنا أؤديها عنه، قال أبو عبيد وغيره معناه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخرها عن العباس إلى وقت يساره من أجل حاجته إليها، والصواب أنّ معناه: تعجّلتها منه، وقد جاء في حديثٍ آخر في غير مسلم «إنّا تعجّلنا منه صدقة عامين».

قوله صلى الله عليه وسلم: (عمُّ الرجلِ صنو أبيه) أي مثل أبيه، وفيه تعظيم حقِّ العم. انتهى من صحيح مسلمٍ بشرح النووي (الجزء الرابع صفحة ٦٩، ٧٠).

الشاهد أنّها الأحبّة: إحسانُ الظنِّ بالمسلمين.

* أيها الأحبّة الكرام: لا بد أن يكون المؤمن حسنَ الظنِّ بالمسلمين من حوله.

ولقد علمنا رسولنا الكريم ذلك كما قلنا قبل ذلك، وفي الموقف الآتي دليلٌ عمليٌّ على هذا المعنى العظيم، في قصّة الإفك التي جاءت في صحيح البخاري ومسلم حينما اتُّهمت أمُّ المؤمنين عائشةُ في عرضها وهي الطاهرة

النقية، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغْنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا».

رواه البخاري في صحيحه (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).

فهذا من حُسن الظن؛ نبئنا صلى الله عليه وسلم يَعْلَمُنَا هذا المعنى بكلامه الطيب الطاهر (فوالله ما علمتُ على أهلي إلا خيرًا).

فعلينا أن نُحسن الظن بالمسلمين، حُسن الظن يجعلنا نعيش في وئامٍ ومحبةٍ، يحترم بعضنا بعضًا، تقوم علاقاتنا على احترام الآخر وإحسان الظنِّ به؛ ولقد تعلَّم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى الكبير من مُعلِّمنا وأستاذنا أستاذ البشرية رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه.

هذا الموقف الذي أرويه لحضراتكم يَعْلَمُنَا كيف كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحسنون الظنَّ بالمسلمين فهو موقفٌ لا بد أن يكون نبراسًا لنا يضيء طريق الحق.

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن سمرة أن أهل الكوفة شكوا سعدًا إلى عمر بن الخطاب، فذكروا من صلاته، فأرسل إليه عُمر فقدم عليه، فذكر له ما عابوه به من أمر الصلاة، فقال: إني لأصليُّ بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرج منها؛ إني

لأرْكُدُّ بهم في الأوليين، وأحذف في الآخرين. فقال: ذاك الظنُّ بك يا أبا إسحاق». رواه البخاري في صحيحه (٧٥٥)، ومسلم (٤٥٣).

ومعنى أركد بهم في الأوليين: يعني أطولهما.

الشاهد قول عمر رضي الله عنه (ذاك الظنُّ بك يا أبا إسحاق).

يقول الإمام النووي: (فيه مدح الرجل الجليل في وجهه إذا لم يخف عليه فتنةٌ يعجابٍ ونحوه). صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء الثاني صفحة ٣٤٩).

هذا الشاهد أيضًا يدل على حُسن الظن بالمسلمين.

قلنا أيُّها الأحبة: إنَّ صحابة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يُحسنون الظنَّ بالمسلمين ولنا فيهم أسوؤُ يجب علينا أن نتعلم من بحر أدبهم السامق الذي تربوا عليه من صاحب الرسالة السامية صلوات ربي وسلامه عليه، فهم أحسنوا الظنَّ بالمسلمين وكانوا يقولون الحقَّ ويدافعون به عن أصحابهم رضوان الله عليهم أجمعين، ولنا في هذا الموقف قدوةٌ ومواقف الصحابة كلها قدوة.

لقد روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان قال: جاء رجلٌ من أهل مصر وحجَّ البيت، فرأى قومًا جلوسًا فقال: مَنْ هؤلاء

القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فَمَنْ الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يابن عمر، إني سألك عن شيءٍ فحدثني عنه: هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهد؟ قال: نعم. قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك. أما فراؤه يوم أحد فأشهد أنّ الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت مريضةً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ». وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحدٌ أعزَّ بيطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان، وكان بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى: «هذه يد عثمان. فغضب بها على يده فقال: هذه لعثمان. فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك. رواه البخاري في صحيحه (٣٦٩٩).

أيها الأحبة الفضلاء:

علينا أن نُحسن الظن بالمسلمين، وما زال الحديث موصولاً مع حضراتكم بإذن الله تعالى.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وعلى خاتمهم
المجتبى صلى الله عليه وسلم.

أما بعد؛ فإننا نواصل مع حضراتكم كيف كان صحابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم يُحسنون الظنَّ بالمسلمين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال: «وُضع عمر على سريره فتكثَّفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يُرفع
وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجلٌ أخذ منكبي فإذا علي بن أبي طالب فترحم
على عمر، وقال: ما خلفت أحدًا أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك،
وأيم الله، إن كنت لأظنُّ أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت أني كنت
كثيرًا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ذهبْتُ أنا وأبو بكر وعمر،
ودخلْتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجْتُ أنا وأبو بكر وعمر». رواه البخاري في
صحيحه (٣٦٨٥) ومسلم (٢٣٨٩).

وهذا حُسنُ ظنِّ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ ولله درُّ ابن قدامة
المقدسي الذي قال:

(وقد تحصل الغيبة بالقلب، وذلك سوء الظنّ بالمسلمين، والظنّ ما تركز إليه النفس ويميل إليه القلب، فليس لك أن تظنّ بالمسلم شراً، إلا إذا انكشف أمرٌ لا يحتمل التأويل). من كتاب مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (صفحة ١٧٢).

أيها الإخوة الفضلاء: إنّ لحسن الظنّ فوائد منها: أنّه دليلٌ واضح على سلامة الصدر من الحقد والغلّ، وأنه دليل على حسن إسلامك، وأنه طريقٌ منير يوصلك لجنّة الرحمن جلّ وعلا، فلنحسن الظن بالله عز وجل ولنحسن الظن بالمسلمين.

ولله در القائل:

وإني لأرجو اللهَ حتى كأتني * أرى بجميلِ الظنِّ ما اللهُ صانعُ

أيها الأحبة الكرام:

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعلنا نتخلّق بهذا الخلق الطيب، فهو وليُّ ذلك والقادر عليه، اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميعٌ قريبٌ مجيب الدعوات، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين.. ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة

حسنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

* كان خُلِقَ القرآن *

الجمعة: ٩ من ربيع أول ١٤٣٥هـ - ١٠ من يناير ٢٠١٤م

الحمد لله رب العالمين، نحمدك ربنا يا من أوضحت لنا سُبُل الهداية، وأزحت عن بصائرنا غشاوة الغواية، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمةً للعالمين، على من أرسلته شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

قال تعالى في كتابه الكريم: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ». (سبأ: ٢٨).

وهو القائل جلَّ شأنه أيضًا في مُحكم آياته: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا». (الأحزاب: ٤٥، ٤٦).

ورضي الله عن الصحابة الكرام الذين هجروا الأوطان يبتغون من الله عزَّ وجلَّ الفضل والرضوان، والأنتصار الذي آووا ونصروا وبذلوا النفس والنفيس من أجل إعزاز هذا الدين.

أما بعد؛ فإنَّ المسلمين جميعًا في مشارق الأرض ومغاربها أمام مناسبةٍ طيّبةٍ عطرة وهي مولده صلى الله عليه وسلم، وهي مناسبةٌ جليلة الشان عالية القدر.

ولله درُّ من قال:

جاء الأُميُّ فنور الأكوانا * وأزاح عن قلبِ الوري الكفرانا
وأطلَّ فجرُ الهاشميِّ محمدٍ * وإلى الصراطِ المستقيم هَدانا
وأبانَ عن وجهِ الحقيقةِ للوري * فهدى الوجود وعلم الإنسانا
نعم، لقد أضاء مولده الشريف وجه الأرض مبشرًا بعهدٍ جديد ينقل
البشرية من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد.

لقد كان مولده الشريف ورسالته إلى البشرية بعثًا وميلادًا جديدًا لآمة العرب.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ». (الجمعة: ٢).

والمنقذ لأهل الكتاب، قال تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ

مَنْ اللَّهُ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». (المائدة: ١٥، ١٦).

بل المنقذ للبشرية جميعًا:

قال الله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ». (الأعراف:
١٥٨).

لقد كان العالم يموج بالشرك والمشركين واستعباد الإنسان؛ فجاءت بعثة
النبي صلى الله عليه وسلم لتهدب الأخلاق المعوجّة والعادات والتقاليد
البالية المنحرفة عن فطرة الإنسان النقيّة، وحمّت الحقوق ورعت العهود
والأمانات؛ تدعو إلى المحبّة والوئام مساويةً بين الناس في الحقوق
والواجبات، فلا فرق بين عربيٍّ وأعجميٍّ إلا بالتقوى والعمل الصالح.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ». (الحجرات:
١٣).

* أيها الأحبّة الكرام: إنَّ هذه المناسبة العطرة تتطلب أن يرجع المسلمون
فيها إلى سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم إمام المرسلين وخاتمهم وسيد

ولد آدم، أن يعودوا لأخلاقه السامية وآدابه الرفيعة، فيها مدحه ربُّ العِزَّة تبارك وتعالى قائلاً في مُحكم آياته: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ». (القلم: ٤).

لقد جاء في مُختصر الشمائل المحمدية: باب ما جاء في خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحت عنوان الباب عدَّة أحاديث تبين أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم منها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خدمتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي أفُّ قطُّ، وما قال لي لشيءٍ صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيءٍ تركته: لم تركته؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خُلُقًا، ولا مسست خَزًّا ولا حريزًا ولا شيئًا كان ألين من كفِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكًا قط ولا عطرًا كان أطيب من عَرَق النبي صلى الله عليه وسلم». الحديث صحيح المؤلف برقم (٢٠١٦) والخزُّ: ثياب تُعمل من صوف وحريير.

صلوات ربي وسلامه عليك سيدي يا رسول الله. ما أجمل أخلاقك الرفيعة وسماتك الجليلة!

ومنها: ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا ولا صحابًا في الأسواق،

ولا يجزئ بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح». صحيح أخرجه المؤلف في البرِّ برقم (٢٠١٧).

وعنها رضي الله عنها قال: «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادماً ولا امرأة». صحيح أخرجه ابن ماجة في النكاح (١٩٨٤).

نقلنا هذه الأحاديث من كتاب مختصر الشمائل المحمدية للترمذي صاحب السنن، اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني من صفحات (١٨١، ١٨٢، ١٨٣).

(ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة عن خُلُقهِ صلى الله عليه وسلم قالت: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كان القرآن). جزءٌ من حديثٍ في صحيح مسلم برقم (٧٤٦).

* أيها الأحبة الكرام: تُسجّل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الطيبة العطرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير من المواقف العملية العظيمة التي تنطق بحُسن الخُلُق لرسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملته.

* فلقد كان صلوات ربي وسلامه عليه أحسنَ الناسَ معاملَةً وإذا استسلف قضي خيراً منه.

يقول الإمام ابن القيم في كتابه زاد المعاد: «كان أحسن الناس معاملةً، وكان إذا استسلف سلفاً قضي خيراً منه». زاد المعاد في هدي خير العباد (الجزء الأول صفحة ٨٧).

روى الإمام مسلم في صحيحه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: استقرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سِتًّا فأعطى سِتًّا فوقه. وقال: «خياركم محاسنكم قضاءً». رواه مسلم في صحيحه (١٦٠).

وقد بَوَّبَ الإمام مسلم باباً فقال: باب من استسلف شيئاً ففضى خيراً منه وخيركم أحسنكم قضاءً.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فأغلظ، فهمَّ به أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه فإنَّ لصاحب الحقِّ مقالاً. ثم قال: أعطوه سِتًّا مثل سِتِّه. قالوا: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سِتِّه. فقال: أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاءً». رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٣٠٦).

* أيُّها الأجبَّة الكرام: لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قَمَّةً في التواضع مع صحبه الكرام منخرطاً في العمل معهم، ومثاله ما حدث في غزوة الخندق (الأحزاب) التي اجتمع لها طوائف من المشركين على حرب

المسلمين، وهم قريش وغطفان واليهود ومن تبّعهم.

وسارع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عقد مجلسٍ استشاري أعلى، تناول فيه خطة الدفاع عن المدينة، وبعد مناقشاتٍ جرت: اتفقوا على قرار حفر خندقٍ قدّمه الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه وكانت خطةً حكيمةً لأنّ سلمان قال: «يا رسول الله، إنا كنّا بأرض فارس إذا حُوصرنا خندقنا علينا».

ولما كانت المدينة تحيط بها الحرّات والجبال وبساتين من النخيل من كل جانبٍ سوى الشمال، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كخبير أن زحف مثل هذا الجيش الكبير ومهاجمته المدينة لا يمكن إلا من جهة الشمال، اتخذ الخندق في هذا الجانب، روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي إسحاق قال: «سمعتُ البراء بن عازب يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم، رأيتُه يثقلُ التراب من تراب الخندق حتى وارى عيني الغبارُ جِلْدَةً بطنه -وكان كثير الشعر- فسمعتُه يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:

اللهمّ لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزلنّ سـكـينته علينا * وثبّت الأقدام إن لاقينا
إنّ الألي قد بعّوا علينا * وإن أرادوا فتنةً أبينا

قال: ثم يمدُّ صوته بآخرها». رواه البخاري في صحيحه برقم (٤١٠٦).

* أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْفُضَّلَاءُ: إِنَّ عَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَعْمِيقِ الْخَنْدَقِ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبِيلِ التَّمْثِيلِ -حَاشَاهُ ذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّهُ التَّوَاضَعُ أَيُّهَا الْأَحَبَّةُ، إِنَّهَا الْمَسَاوَاةُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهَا قِيَمَةُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ فَنَحْنُ نَجِدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْدُبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى حَفْرِ الْخَنْدَقِ، ثُمَّ ذَهَبَ يِرَاقِبُهُمْ مُسْتَرِيحًا هَادِنًا؛ لَكِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ انْخَرَطَ فِي الْعَمَلِ مَعَهُمْ كَأَيِّ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، هَذِهِ حَقِيقَةٌ مَا أَقَامَهُ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ، هَذَا مَوْقِفٌ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَقِفَ أَمَامَهُ لِنَتَعَلَّمَ وَنَتَأَسَّى بِالْقُدْوَةِ الْحَسَنَةِ، بِنُورِ النُّبُوَّةِ السَّاطِعِ مِنْ أَعْمَالِهِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أَطَلَّتْ عَلَيْنَا وَعَلَى دِينَانَا.

* أَيُّهَا الْأَحَبَّةُ الْكِرَامُ: لَا بَدَّ أَنْ نَقْتَدِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا». (الأحزاب: ٢١).

إنها الأسوة المباركة الطيبة.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الخاتم الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعفو ويصفح، ومثاله: ما رواه مسلم وأبو داود والترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلّحين يريدون غيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ». هذا لفظ مسلم برقم (١٨٠٨).

أما لفظ أبي داود والترمذي: «...فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم...». وهو في سنن أبي داود برقم (٢٦٨٨) وفي سنن الترمذي برقم (٣٢٦٤).

وهذا الموقف في الحديبية قبل عقد الصلح.. ما أعظم خُلُقك يا رسول

الله!.

هكذا عفوت فتحقق وصفك في التوراة إنَّك لا تدفع السيئة بالسيئة ولكن تعفو وتصفح.

* أيها الأحبة الكرام: إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم خيرُ الناس دلَّت على ذلك سنَّته الشريفة؛ فلقد روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث جابر قال: «كُنَّا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرةٍ ظليَّةٍ تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم، فجاء رجلٌ من المشركين وسيَّفُ النبي صلى الله عليه وسلم مُعلَّقٌ بالشجرة، فاخترطه فقال: تخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك منِّي؟ قال: الله. فتهدده أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأقيمت الصلاة فصلَّى بطائفةٍ ركعتين، ثم تأخَّروا، وصَلَّى بالطائفة الأخرى ركعتين، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم أربعٌ وللقوم ركعتان». رواه البخاري في صحيحه برقم (٤١٣٦) ومسلم برقم (٨٤٣).

قال الحافظ في الفتح: (وأما المتن فتمامه عن جابر قال: «غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب خصفه بنخلٍ فرأوا من المسلمين غرَّةً فجاء رجلٌ منهم يقال له عَوْرَثُ بن الحارث حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فذكره وفيه» فقال الأعرابي: غير أني أعاهدك أن

لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّ سبيله، ف جاء إلى أصحابه فقال: جئكم من عند خير الناس». من فتح الباري بشرح صحيح البخاري (الجزء السابع صفحة ٤٨٣).

* أيها الإخوة الكرام: أولى بنا نحن المسلمين أن نفتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إنه رسول الله الرحمة المهداة.. إنَّه رسول الله الذي كان خُلِّقه القرآن، إنَّه رسول الله الذي لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق.. إنَّه رسول الله الذي يعفو ويصفح؛ إنَّه رسول الله الذي مرَّق سُحْب الجهالة والعمى ومحا الفجور والظلم.

ولله در من قال:

وتمرّقت سُحْبُ الجهالةِ والعمى * وأقامَ شرعَ الله والفُرقانا
بدرٌ تنوّرتِ الدُّجى بظهوره * فمحا الفجورَ وهَدَمَ الطُّغيانا
نورٌ أضاء فبدد الأوثانا * نورٌ أضاء فأرشد الحيرانا
أيُّها الأحبّة: سيروا على نهج نبيكم صلى الله عليه وسلم؛ فهذا هو احتفالكم الحقيقي، صوموا يوم مولده كما كان صلى الله عليه وسلم يفعل، والله تعالى أسأل أن يوفّقنا لما يحبُّه ويرضاه فهو وليُّ ذلك والقادر عليه؛ اللهم اهدنا بفضلك فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولّنا

فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت؛
اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة،
اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن
طاعتك ما تبليغنا به جنَّتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا،
ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منّا، واجعل
ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا
ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته
ولا همًّا إلا فرّجته ولا دينًا إلا قضيته؛ ربّنا آتنا في الدنيا حسنًا، وفي الآخرة
حسنًا، وقنا عذاب النار.. وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه
الأخيار وسلّم تسليمًا كثيرًا.

سوءُ الظنِّ وعواقبه

الجمعة: ١٦ من ربيع أول ١٤٣٥هـ - ١٧ من يناير ٢٠١٤م

الحمد لله ربَّ السماوات السبع والأرضين السبع ربَّ العرش العظيم،
المطلع على خفِّيات السرائر، العالم بمكونات الضمائر، مقلِّب القلوب،
وغفَّار الذنوب، ومفرِّج الكروب، والصلاة والسلام على سيد المرسلين،
وإمام المتقين سيدنا ونبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين
وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فلقد تحدَّثنا عن الظنِّ من حيث التعريف، كما تحدَّثنا عن
أنواع الظنِّ، وتحدَّثنا عن حُسن الظنِّ بالله عز وجل، كما تحدَّثنا عن
حُسن الظنِّ بالمسلمين وعن ثمراتِ حُسن الظنِّ.

واليوم بإذن الله تعالى نتحدث في سوءِ الظنِّ حتى نكون على حُرِّصٍ كاملٍ
مما نقول ومما نفعل.

* أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ الْكَرَامُ: لقد قال الله ربُّ العالمين في كتابه الكريم: «يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...». الآية.

إنَّ سوء الظنَّ أيُّها الأُحِبَّةُ مفتاحٌ من مفاتيح الشرِّ؛ يسوقنا إلى التَّجسُّسِ والغيبَةِ، ومن أجل ذلك كان لابَدِّ من التحذير من سوء الظنِّ بالمسلمين؛ فإنَّ هذا الأمر يُوَدِّي إلى التنافر والاختلاف، والأُمَّة مأمورةٌ بالاعتصام بدين الله والاتحاد وعدم التنازع؛ لأنَّ التنازع يُوَدِّي إلى الفشل.

يقول العلامة السعدي في تفسيره عن هذه الآية: «نهى تعالى عن كثيرٍ من الظنِّ السوء بالمؤمنين ف»إنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ« وذلك كالظنِّ الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظنِّ السوء الذي يقترب به كثيرٌ من الأقوال والأفعال المحرَّمة؛ فإنَّ بقاء ظنِّ السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضًا إساءةٌ الظنِّ بالمسلم وبُعضه وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه». من تفسير تيسير الكريم الرحمن للسعدي (صفحة ٩٢٤).

* أيُّها الأُحِبَّةُ الكرام: بسبب ما يفعله سوءُ الظنِّ بالمسلمين حدَّر النبي صلى الله عليه وسلم منه؛ لأنَّه عليه الصلاة والسلام يريد للمجتمع المسلم أن يكون سليم الصدر، يريد للمجتمع المسلم أن يكون قائمًا على الحبِّ والوئام لا الكره والخِصام؛ لذلك جاء حديث النبي صلى الله عليه وسلم يحذِّر من الظنِّ السيِّئ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ياكم والظن؛ فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً». رواه البخاري في صحيحه (٦٠٦٤) ومسلم (٢٥٦٣).

ومن يدقق النظر في هذا الحديث الشريف فإنه سيعلم أنَّ سوء الظنِّ كما قلنا مفتاحٌ من مفاتيح الشرِّ؛ لأنَّ الظنَّ السيِّء سيُدفع صاحبه إلى أن يتأكَّد من أنَّ ظنَّه كان في موضعه فيتجسس على أخيه، وهذا بدوره يؤدي إلى التنازع والتباغض والتنافر، وهذا ما لا يريده النبي صلى الله عليه وسلم للمجتمع المسلم؛ لذلك جاء تحذيره صلى الله عليه وسلم بقوله: «يَاكُم وَالظَّنُّ» فهو أسلوب تحذير.

فإن كان هناك ظنٌّ عندك فأحسن الظن بالمسلمين وعش سليم الصدر فهو طريقٌ يوصلك إلى الجنة؛ ولقد عدَّ ابن حجر الهيثمي سوء الظنِّ من الكبائر، وقد قسَّم سوء الظنِّ إلى قسمين: أولهما: سوءُ الظنِّ بالله تعالى: قال ابن حجر بعد أن بيَّن أن الإياس والقنوط من رحمة الله تعالى من الكبائر: «والظاهر أيضاً أنَّ سوء الظنِّ أبلغُ منهما لأنه يأسٌ وقنوطٌ وزيادة لتجويزه على الله تعالى أشياء لا تليق بكرمه وجوده...». الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي (الجزء الأول صفحة ١٦٣).

والقسم الثاني من سوء الظن: سوء الظن بالمسلمين:

قال ابن حجر: «ومنها سوء الظنَّ بالمسلمين قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ». (الحجرات: ١٢).

ومن حَكَمَ بِشَرِّ عَلَى غَيْرِهِ بِمَجَرَّدِ الظن حمله الشيطان على احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه وإطالة اللسان في عرضه، وكلُّ هذه مهلكات، وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن أبصره يكلم زوجته صفة: «إنها أمكم» فتطورا به لذلك فقال: «إنَّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً»... - ثم يقول ابن حجر بعد ذلك بقليل: وكل من رأته سيئ الظنَّ بالناس طالباً لإظهار معائبهم فاعلم أنَّ ذلك لخبث باطنه وسوء طويته؛ فإنَّ المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه، فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب». الزواجر عن اقتراف الكبائر (الجزء الأول صفحة ١٥٦). والحديث الوارد في الفقرة رواه مسلم في صحيحه (٢١٧٥).

* أَيُّهَا الأُحِبَّة الكرام: لابدَّ أن تكون على بصيرةٍ من هذا الأمر حتى لا تقع في سوء الظن بالمولى سبحانه وتعالى وسوء الظن بالمسلمين؛ ولذلك كان تحذير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «إيَّاكم والظن».

* أَيُّهَا الْأَحَبَّةُ الْكِرَامِ: إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بِلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَلَقَدْ تَعَرَّضَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ لِسُوءِ الظَّنِّ لَكِنَ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ كَانَ يَدَافِعُ عَنْهُمْ؛ لَقَدْ تَعَرَّضَ نَبِيْنَا الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِهَذَا الْأَمْرِ، رَوَى الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لِأَخْبَرَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: فَاتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ. قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أَوْذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٣١٥٠) وَمُسْلِمٌ (١٠٦٢).

والصرف الوارد في الحديث معناه: صبغُ أحمر يُصبغ به الجلود.

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي الْمَوْلَّاتِ قُلُوبَهُمْ، وَلِذَلِكَ بَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ بَابًا فَقَالَ: بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي الْمَوْلَّاتِ قُلُوبَهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْخُمْسِ وَنَحْوِهِ.

وَبَوَّبَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ بَابًا فَقَالَ: بَابُ إِعْطَاءِ الْمَوْلَّاتِ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ

وَتَصَبَّرُ مِنْ قَوِي إِيْمَانِهِ.

أيها الأُحِبَّة الكرام: عندما علم النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر قال يرحم الله موسى قد أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ؛ أَي صَبَرَ عَلَى إِذْيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَقَدْ تَعَرَّضَ سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِسُوءِ الظَّنِّ، وَإِلَى حَضْرَاتِكُمْ مَا حَدَّثَ مَعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

رَوَى الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاهَ، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدِرٌ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَجَمَحَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ، يَقُولُ: تَوْبِي يَا حَجَرُ، حَتَّى نَظَرْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا» فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَنَدَبُ بِالْحَجَرِ، سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبًا بِالْحَجَرِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٢٧٨) وَمُسْلِمٌ (٣٣٩).

كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراه ويحتمل أن هذا كان جائزاً في شرعهم، وكان موسى عليه السلام يتركها وترها واستحباباً وحياءً ومروءةً، ويحتمل أنه كان حراماً في شرعهم كما هو حرامٌ في شرعنا كما قال الإمام النووي

في شرحه لهذا الحديث. من الجزء الثاني لشرح صحيح مسلم (صفحة ٢٢٨).

فقال بنو إسرائيل بسوء ظنهم: إِنَّ موسى يمنع نفسه من الاغتسال معنا إلا أنه آدر أي عظيم الخصيتين.

يقول الحافظ ابن حجر: (قوله آدر) بالمدّ وفتح الدال المهملة وتخفيف الراء قال الجوهرى: الأدرّة نفخةٌ في الخِصية، وهي بفتحات وحكى بضم أوله وإسكان الدال.

قوله: (فجمع موسى): أي جرى مسرعًا وفي رواية «فخرج». فتح الباري بشرح صحيح البخاري (الجزء الأول صفحة ٤٥١).

جرى موسى عليه السلام مسرعًا وهو يقول ثوبي يا حجر؛ لأنّ الحجر أخذ الثوب وجرى به؛ فنظرت بنو إسرائيل إلى سواة موسى عليه السلام أي عورته -وقد سُمّيت بهذا الاسم لأنه يسوء صاحبها كشفها- فوجدت بنو إسرائيل أنّ موسى عليه السلام ليس به بأس، وقد أخذ موسى عليه السلام يضرب الحجر حتى أحدث به أثرًا.

يقول الأمام النووي: «فطَفَّقَ بالحجر ضربًا» وهو بكسر الفاء وفتحها لغتان معناه جعل وأقبل وصار ملتزمًا لذلك، ويجوز أن يكون مراد موسى صلى الله عليه وسلم بضرب الحجر إظهارَ معجزةٍ لقومه بأثر الضرب في

الحجر، ويحتمل أنه أُوحى إليه أن يضربه لإظهار المعجزة؛ والله أعلم». من صحيح مسلم بشرح النووي (الجزء الثاني صفحة ٢٢٨).

الشاهد من هذه القصة العظيمة بيان لسوء ظنّ بني إسرائيل بنبيّ الله موسى عليه السلام، وقد دافع عنه ربه سبحانه وتعالى وأظهر براءته من هذا العيب الذي رموه به.

قال الله ربُّ العالمين في كتابه الكريم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا». (سورة الأحزاب: ٦٩).

فيجب علينا نحن المسلمين أن نُحسن الظنَّ وألا نكون مثل الذين آذوا موسى عليه السلام حتى نعيش في صفاءٍ ونقاءٍ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

* الحمد لله العليّ الأعلى، الويّ المولى، والصلاة والسلام على النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أما بعد؛ فإنّ عاقبة سوء الظن وخيمةٌ تؤدّي إلى غضب المولى عزّ وجلّ والعياذ بالله، وسوء الظنّ دليلٌ على فساد النيّة، وهو خُلُق من أخلاق المنافقين وأُعيذكُم ونفسي منه، فهو يولّد البغضاء بين الناس ويشعل نار العداوة بينهم، إنّ عاقبةً بعض المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أساءوا الظنّ بصحبِ النبي صلى الله عليه وسلم الكرام غضبُ المولى سبحانه وتعالى عليهم.

جاء في تفسير القرآن العظيم: «عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رجلٌ في غزوة تبوك في مجلسٍ: ما رأيت مثل قرّائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجلٌ في المسجد: كذبت ولكنك منافقٌ، لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن فقال عبد الله بن عمرو: أنا رأيته متعلّقًا بحَقَب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو

يقول: يا رسول الله إِنَّا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ» الآية. من تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (الجزء الرابع صفحة ١٠١).

* أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللَّهِ؛ أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِأَقْرَابِكُمْ، أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِجِيرَانِكُمْ، أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِأَهْلِ حَيِّكُمْ بِلِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا.
أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ الْكِرَامُ:

أَسْأَلُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ تَصْفُو قُلُوبُنَا وَأَنْ تَمْتَلِئَ بِالْوَدِّ وَالْخَيْرِ وَتُضَاءَ بِمِشْعَلِ الْهُدَى وَالْبِرِّ، وَأَنْ تَكُونَ حَرَكَاتِنَا وَسَكَنَاتِنَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِفَضْلِكَ فَيَمُنْ هَدِيَّتِ، وَعَافِنَا فَيَمُنْ عَافِيَّتِ، وَتَوَلَّنَا فَيَمُنْ تَوَلَّيْتِ، وَبَارِكْ لَنَا فَيَمَا أَعْطَيْتِ، وَقِنَا وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْتِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَارْحَمْ الْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مَجِيبُ الدَّعَوَاتِ؛ اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا بِالْقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ لَنَا إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ ذَكِّرْنَا مِنْهُ مَا نُنْسِيهِ وَعَلِّمْنَا مِنْهُ مَا جَهَلْنَا وَارزُقْنَا تِلَاوَتَهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَاجْعَلْهُ لَنَا حُجَّةً يَارَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصَمَةَ أَمْرِنَا وَأَصْلِحْ لَنَا دِينَانَا الَّذِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّذِي فِيهَا مَعَادِنَا، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي

كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شرٍّ؛ اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبليغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منّا، ربّنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار.

آمين آمين.. وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(الخاتمة)

* أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْفُضَلَاءُ، أَتَوَجَّهُ إِلَى الْحَقِّ جَلَّ فِي عِلَاهُ بِالِدَعَاءِ أَنْ يَرْزُقَنَا طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتِّبَاعَ سُنَّتِهِ.

جاء في كتاب الرسالة للإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «باب: ما أمر الله من طاعة رسول الله. قال الله - جَلَّ ثَنَاؤُهُ: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَثَّرَ فَأِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا». (الفتح: ١٠).

وقال: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ». (النساء: ٨٠).

فأعلمهم أن بيعتهم رسوله بيعته، وكذلك أعلمهم أن طاعتهم طاعته». الرسالة للإمام الشافعي (١٢٨).

أسأل المولى عزَّ وجلَّ أن يرزقنا طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فهو وليُّ ذلك ومولاه.

ولا يسعني في هذه الخاتمة إلا أن أتقدم بخالص الشكر وجميل العرفان لكل من شارك بيده الكريمة في هذا العمل لكي يخرج في هذا الثوب

الجميل، وأسأل الله تعالى أن يجزيهم خيرًا.

* أحبتي في الله لا تنسونا من دعاكم.

والله عزَّ وجلَّ وحده من وراء القصد فهو سبحانه يقول الحق ويهدي
السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا وحيبنا صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

(المصادر والمراجع)

١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري.
٢. صحيح مسلم بشرح النووي.
٣. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.
٤. سُنن النسائي.
٥. سُنن أبي داود.
٦. سُنن ابن ماجة.
٧. سُنن الترمذي.
٨. الأدب المفرد للبخاري.
٩. مُسند أحمد بن حنبل.
١٠. المعجم الأوسط للطبراني.
١١. المعجم الكبير للطبراني.
١٢. مُستدرک الحاكم.
١٣. الترغيب والترهيب للحافظ المنذري.
١٤. مختصر الشمائل المحمدية للترمذي اختصره الألباني.
١٥. جامع العلوم والحكم لابن رجب.
١٦. صحيح الجامع للألباني.

١٧. الرسالة للإمام الشافعي.
١٨. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.
١٩. تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير.
٢٠. تفسير الجلالين.
٢١. تفسير تيسير الكريم الرحمن للسعدي.
٢٢. صفوة التفاسير.
٢٣. أسباب النزول للسيوطي.
٢٤. القراءات العشر المتواترة للشيخ جمال الدين محمد شرف.
٢٥. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم.
٢٦. مدارج السالكين لابن القيم.
٢٧. الفوائد لابن القيم.
٢٨. الكبائر للذهبي.
٢٩. الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي.
٣٠. لطائف المعارف لابن رجب.
٣١. مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي.
٣٢. تنبيه الغافلين لأبي الليث السمرقندي.
٣٣. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.
٣٤. لسان العرب لابن منظور.
٣٥. القاموس المحيط للفيروزآبادي.
٣٦. المعجم الوسيط. إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

الفهرس

- ٦ الإهداء •
- ٧ المقدمة. •
- ١٠ الأخوة الإيمانية وبعض جوانبها. •
- ٢٣ تابع الأخوة الإيمانية وبعض جوانبها. •
- ٣٧ خُلق الاستقامة. •
- ٥١ كيف نستقيم على طاعة الله عزَّ وجلَّ؟ •
- ٦٣ نتائج الاستقامة. •
- ٧٦ خُلق التواضع ودرجاته. •
- ٨٨ التواضع في سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم •
- ١٠٠ من تواضع صحابة النبي صلى الله عليه وسلم. •
- ١١٢ الكبر وأنواعه. •
- ١٢٣ الحجُّ وثوابه العظيم. •
- ١٣٤ من أسرار الحجِّ. •

- ١٤٥ عاقبة المتكبرين.
- ١٥٨ مراقبة الله تعالى.
- ١٧٠ الاحتفال الحقيقي بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ١٨١ المراقبة عند الصحابة والتابعين.
- ١٩٢ أثر المراقبة على الفرد والأمة.
- ٢٠٣ حُلُق الرفق في القرآن والسنة.
- ٢١٤ صورٌ من رفق النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٢٢٥ مجالات الرفق.
- ٢٣٥ اتق المحارم.
- ٢٤٥ أحسن إلى جارك وأحب للناس ما تحب لنفسك.
- ٢٥٥ حُسن الظنِّ بالله عز وجل.
- ٢٦٦ حُسن الظنِّ بالمسلمين.
- ٢٧٦ كان حُلُقه القرآن.
- ٢٨٨ سوء الظن وعواقبه.
- ٢٩٩ الخاتمة.
- ٣٠١ المصادر والمراجع.
- ٣٠٤ المحتويات.



شارك سطورك مع العالم

01122380443